

ببيروت من الطبع نجاة

عدد

نصف

١/٤٤

في الأدب والحياة

عزت

892.709
Kh678A

بقلم

فاضل خلف

الناشر: مكتبة الآداب بالجواميز . تليفون ٤٢٧٧٧ بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تقديم
بفهم الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده

من نحو خمس وعشرين سنة تفضل كاتب أديب لامع بتقديم
لأول كتاب أنشأته ، وكان قصة من ذوب نفسي ، وكانت مقدمة
الكاتب الأديب اللامع تتخرج في كل سطر من كلمة مديح أو عبارة
ثناء لأن صاحب الكتاب شاب مغمور ويخشى أن يصيبه المدح
بالغرور ، فاقترعت المقدمة على التعريف بالكتاب وصاحبه ،
وكانت أقرب إلى التبكيت منها إلى التأييد والتشجيع .

وقد ترك تخرج الكاتب الأديب اللامع في نفسي مرارة لأنه
قبض عني حتى فشعرت بالظلم وأنا لم أجاوز العشرين من عمري .
لذلك لن أخرج وأنا أقدم كتاب الأستاذ فاضل خلف ، حتى لا أترك
في صدره ما انطوى عليه صدرى من الأسى والحسرات .

وقد اعتاد بعض الكتاب أن يقدموا المؤلفات الشباب فيسرفوا
في المديح ويمجاوزوا الحدود في بيان الحسنات ، وبذلك يفسدون
بهجة المكتوب فيلقى القارئ فيما يقرأ مبالغته تسقط من قدر الكتاب ،
وتصرفه عن قراءته ، وقد تدعوه إلى السخط على الكاتب والتبرم
به . لذلك لن أسرف في تقرير ما أعجبنى حتى لا أظلم صاحبي عند

سائر القراء ولا أقول حتى لا يصيبه الغرور ، فإن له مقالات منشورة
وكتاباً مطبوعاً ، وهذا المؤلف الذى أقدم له سبق أن نشر صاحبه
بعض فصوله ، ونال ما يناله عادة كل كاتب من الغبطة والسرور ،
والغرور أيضاً إن كان لا بد من الغرور !

وإذا أنت راجعت « فى الأدب والحياة » وجدت الكتاب
يطوف بك فى آفاق العروبة ناقداً كتاباً أو منصفاً لشاعر أو أديب ،
ولم يقف قلبه العف وعبارته السليمة عند « الكويت » وحدها حيث
نشأ وشب فى مدارجها بل قادك إلى مصر ولبنان والعراق ، وبصرى
بكاتب هنا وشاعر هناك وبين لك الجليل الذى أحسه والقيح الذى
آذاه دون إسراف فى الرضى ، ودون إسراف فى السخط حين
يخالف فى رأى آراء من ينقدهم من الأدباء والشعراء .
والكتاب فصول فى الأدب والتاريخ والاجتماع .

وسوف تجد المؤلف فى « مولد النور » مسلماً عميق الإيمان
بصاحب السيرة الكريمة ولكنه لا يعظك على النحو الذى نعرفه كلها
حلت بنا ذكرى الرسول العظيم بل يعرض لك صورة حية قوية لمصلح
نقوى ، فصل بين قيم وآداب عتيقة ونقل البشرية إلى قيم وآداب أخرى
لا يزال العالم كله يهدف إليها حين يسعى إلى النضج والاستواء .

وإذا عرض المؤلف للتاريخ لم ينهج نهج غيره فى طرائق البحث

والدرس ، وأشهد أننى وقفت طويلا عند فصل تحدث فيه عن
« وثيقة استعمارية من القرن العاشر الهجرى » وهو يعلق على ما
تناوله الأستاذ محمد عبد الله عنان من رأى فى هذه الوثيقة فى مجلة
الكتاب المصرية فاختلف الأستاذ فاضل خلف مع صاحب البحث ،
فى المعانى التى انطوت عليها الوثيقة وبين بالتدقيق أنها وثيقة استعمارية
وليست وثيقة « دبلوماسية » كما أرادها الأستاذ عنان فى محثه الطويل ..
وقد تناثرت فى الكتاب فصول أدبية عن الكويت وأدب العراق
وأدب الحجاز ، وهى دراسة ممتعة يجب أن يعود إليها كل أديب ليعرف
بعض ما تضطرب به البيئات الأدبية فى تلك البلاد وخاصة فى الكويت
والحجاز ، حيث لا يعلم أهل العلم والأدب فى مصر مثلاً إلا القليل
النادر عن التيارات الأدبية فى البلدين الشقيقين ، وهو بذلك يعرفنا
على مجهول عند كثير من خاصة المتأدبين « أو يعلمنا » بما لا نعرف كما
يقول الكويتيون وهم يلقون إليك بالنبأ الصحيح ! ...

فاذا فرغنا من الأدب ونقده وسيرة الأدباء العرب فى الجزيرة
وما حولها نقلنا الأستاذ فاضل إلى نقد الحياة الاجتماعية فى البيئة
العربية عامة والكويتية خاصة ، وهو نقد لا يزيد كثيراً عما يشكو
منه الناس فى سائر الأمصار والأقطار ، وإن تعليقات المؤلف على
الروايات السينائية وما فيها من مبادل ومساخر ، وملاحظاته

اللاذعة على سيرة (الأشراف) في زواج بناتهم وتأبيهم على الاكفاء
من الخطابين ، أقول إن هذه التعليقات والملاحظات الزاخرة بالمرارة
والضيق قد عالجها كثيرون من قبل غير أن طريقة المؤلف في تناوله
لمثل هذه الموضوعات لا تخلو من جديد قيمين بالتقدير والاعتبار .

وما أظن أنني مسوق بعاطفتي حين أقرر أن الفصول الأخيرة
التي وقفها المؤلف على سيرة زكي مبارك الأديب الشاعر العربي هي
خير ما قرأت في هذه السيرة من اللوحات اللامعة والنفثات الصادقة ،
بل هي أكثر ما هز مشاعري في هذا الكتاب .

إن قصة زكي مبارك في التاريخ — لولا فصول فاضل خلف —
أشبه بحياة زكي مبارك ، جهاد متصل في سبيل الأدب والشعر ، وفي
سبيل العرب والعروبة دون تحية شكر أو كلمة وفاء .!

إن زكي مبارك صديق عرفته وصاحبته ، فلم أر بين الصحاب
والأصدقاء واحدا أكثر منه وفاء لعليه وأدبه ولا صدقائه ، إن فزع
إليه صاحب أو صديق ، ولم أر بين من عرفت رجلا شجاعا يقول
كلمة الحق في وجه صاحب السلطان دون ما تردد أو جزع مثلما كان
يقولها زكي مبارك .

وأذكر أن زكي مبارك قال لكتاب أديب عليه يوما « إنك
يا رجل تحمل سمعة عظيمة نصفها راجع إلى أنك أستاذي » !! وسخر

الناس إذ ذاك من كلمة زكى مبارك ، وأقسم أن الكاتب الأديب لم
ينجب في حياته تلميذا كزكى مبارك ، ولن ينجب تلميذا كهذا التلميذ ،
لأن تلاميذ الكاتب الأديب يحتاجون إلى شجاعة زكى مبارك ونحن
في أجيال قل فيها الشجعان بين الأساتذة والتلاميذ على السواء .

فاذا جاء اليوم صاحب « فى الأدب والحياة » وأرخ لسيرة
زكى مبارك وكشف مواطن القوة والجمال فيما خلف للعربية من
المعانى والصور ، وطالب بأن يرد لزكى مبارك اعتباره ، فهو إنما ثبت
أنه أديب بالطبع والسليقة ، لأن الإحساس بالواجب نحو الشهداء
من الأئمة والأعلام لا ينبع إلا من نفس تحس معانى الحب والجمال .
وبعد فإن هذا الكتاب الذى عرضت لك بعض صورته يقدم لنا
أديبا ، أرجو أن يكون فى كتبه المقبلة أفضل من كتبه السابقة وأن
يحسن إلى نفسه بمزيد من القراءة ، وخاصة قراءة كتب الفرنجة فإن
بواكيره تفصح عن نبت قوى خصيب وهو يستطيع أن يرضينى
ويرضيك فى هذا الكتاب بيد أنى أرجو ألا يكون هو راضيا
أبدا ...

الكويت (ربيع ثانى ١٣٧٥
ديسمبر ١٩٥٥)

إهداء

إلى الذى كوّن لى مكتبة أدبية قبل أن أعرف معنى الكتب ...

إلى الذى حُبب إلىّ البحث والدرس وشجّعنى على القراءة فى

غفوات الليل ...

إلى الذى ربّانى صغيرا ورعانى كبيرا ...

إلى أبى أهدى هذا الكتاب ...

المؤلف

تصدير

هذه مجموعة من الخطارات، في الأدب والحياة، كتبت في أوقات متباعدة، ومناسبات مختلفة منذ سنة ١٩٤٧ - ١٩٥٥، ونشرت في الصحف المحلية والصحف العربية.

ولم يدر في خلدي يوم كتابتها أنني سأجمعها وأنشرها في كتاب، ولو خطر لي ذلك الخطار، لحاولت أن أخرجها خيرا من هذا الاخراج وعندما عقدت العزم على نشرها منذ مدة، تحت إلحاح وتشجيع كرام الصحب، رجعت إليها وجمعتها من الصحف المختلفة وأخذت أمعن النظر فيها، فوجدتها بحاجة إلى تغيير وتعديل فصحت بعضها وتجاوزت عن بعضها خوفا من تشويهها، وحذفت خطارات بأكملها، لأنها كانت صالحة للوقت الذي كتبت فيه. وإنني أقدم هذا الكتاب بين أيدي القراء الكرام راجيا أن تكون لهم فيه متعة وفائدة، ويسرنى أن أتلقي منهم نقدا نزيها يهدف إلى خدمة الصالح العام.

الكويت في { ربيع أول ١٣٧٥
أكتوبر ١٩٥٥ }

فاضل خليف

الغربال

الغربال مجموعة مقالات في نقد الأدب العربي قبل خمسة وعشرين عاما ، ومؤلف الكتاب هو الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة ، وللمؤلف منزلة عظيمة في نفوس قراء العربية الذين تذوقوا أدبه وارتشفوا من معينه العذب . مر على الغربال ربع قرن تقريبا ، فاذا المؤلف يعيد طبعه من جديد وكم كان سرور القراء عظيمًا عندما طلع عليهم الكتاب في طبعته الثانية ، إذ كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وخاصة بعد أن اختفت طبعته الأولى من المكاتب منذ أمد طويل ، ولبعد المسافة أو بالأحرى انفصالنا عن عالم الأدب الخارجي لم أستطع الحصول عليه الا منذ قليل * فتناولته فرحًا ومنيت النفس بالاستمتاع في قراءة لذيذة ، ولا أكتفك يا أخي القاري أني كنت أعتقد اعتقادًا جازمًا بأن المؤلف قد غربل كتابه وهذبه وأضاف إليه فصولًا جديدة ، وحذف فصولًا أخرى نسبة لتطور آداب اللغة العربية ، والذي شجعني على هذا الاعتقاد هو أن المؤلف صاحب يراع نشط يستطيع به مسامرة ركب النهضة الفكرية في البلاد العربية ، والأمر الثاني أنه في طليعة

المجددين الذين يشورون ضد القديم ، وينددون بالكتاب الناشئين الذين
يكررون ويرددون ما قالوه سابقا

بدأت بالصفحة الأولى فعجبت كثيرا من أمر المؤلف ، وهو من
هو ... عجبت من تمسكه بالماضي ورميه الأدب السوري بتهمة جائزة .
فقد سأله أحد الأمريكيين عن أشهر أدباء سورية ، ويقصد سورية
الكبرى وذلك منذ ثلاثين سنة ، فارتج عليه الأمر وأصبح « لا يدري
إذا كان دم يسوع المصلوب قد غسل الخطيئة الجديدة عن العالم كله
وبقي هو منسياً لجأه الشيطان بهيئة ذلك الأمريكى يعذه . أو إذا كان
الكاهن الذى عمده قد غمسه فى الماء بدل الثلاث أربع ، فحول
البركة الى لعنة »

قد يكون المؤلف معذورا بقوله هذا فى حينه أما الآن وبعد أن
تطورت الحياة الأدبية فى سورية وخطأ أدباؤها خطوات واسعة الى
الأمام ، وساهموا مساهمة فعالة فى خدمة الأدب العربى ، أقول أما
الآن فليس ثمة داع إلى إعادة هذا القول وبعثه من جديد .

ثم يمضى الكاتب فيقول « إنما أعلم علم اليقين أن الصاعقة التى انقضت
على رأس عبد الحميد عندما دخل عليه قبضة من الفتيان الجريئين وأمره
أن يودع العرش ، لم تكن الانقرة على طبل بالنسبة لتلك العاصفة
التي أثارها فى ذلك الأمريكى بسؤاله » ولست أدري هل يعتقد المؤلف

أن البلاد السورية مازالت على ما كانت عليه قبل ثلاثين عاما ؟ وهل يرتبك هذا الارتباك لو ألقى عليه السؤال في الوقت الحاضر ؟
ربما اعترض معترض قائلا : ان المؤلف لم يقل هذا الآن بل قاله في وقت كانت فيه سورية جديبة من الأدباء والشعراء . فنقول له : إن قولك يا أخي يؤيد ما ذهبنا اليه فمادامت النهضة الفكرية قد تقدمت تقدما محسوسا ، فلماذا لم يشر إليها المؤلف ولو بالهامش ؟ . أما أن يضرب عنها صفحا ويتهم أدباء سورية بالجمود فهذا شيء لا يرضاه الضمير الأدبي .

وننتقل الآن الى قضية أخرى . وهي قضية شائكة شغلت النقاد وأقامت الدنيا وأقعدتها . ألا وهي قضية الشاعر الخالد أحمد شوقي . لقد صدح هذا الشاعر في دنيا العرب حقبة من الدهر وقلد جيد الشعر العربي دررا الألاءة لا ينكرها الا الذين لهم غايات وأهواء وعلى كل حال فقد ذهب الرجل الى ربه بعد أن خلد ثروة أدبية عظيمة ، ومنذ أن فارق عالمنا المضطرب المليء بالمشاحنات والعداوات أخذت الحملات التي شنّها عليه خصومه تضمحل وتتلاشى ، حتى أصبحت الآن في ذمة العدم ، وكان الاستاذ ميخائيل أحد نقاد الشاعر ، فقد تناول قصيدته « بعد المنفى » بالنقد بعد صدورها ، وقد نشر النقد في الغربال ثم أعيد نشره في الطبعة الثانية .

ذكر الناقد مساوى القصيدة فقط وأعرض عن ذكر حسناتها ،
وهذا عمل لا يقره الوجدان ، ولا النقد النزيه . ولوسلنا جدلاً بأن
القصيدة كلها مساوى وليس فيها حسنة واحدة ، هل يكفي أن نحكم
بها على شاعرية شوقي ؟ شوقي صاحب الهمزية وذكرى المولد ونهج
البردة والنيل ومشاهد الطبيعة ونكبة دمشق . والربيع فى وادى النيل
وصقر قریش وغيرها من الخرائد العجماء التى أضحت مصابيح منيرة
فى طريق رواد الأدب وعشاق الشعر ؟!

إننا من المؤمنين بأن إمارة الشعر ليست وقفاً على أحد ، مهما
يسمو ويتنسم ذروة المجد . اذ بعملنا هذا نظم الشعر والشعراء ، ولكننا
لا نظم شاعرنا المجيد فنجرده من الشاعرية كما فعل بعض النقاد وحسبنا
أن نردد مع الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة وظل
الرصافى والزهاوى وشوقى وحافظ ومطران حقبة من الدهر يؤلفون
الآوتار الخمسة لقيثارة الشعر العربى ولكل وتر درجته فى
الرينين والجهارة والاثـر * وهذا فى الحقيقة قول عادل لازيغ فيه
ولا إجحاف ، فلكل من هؤلاء الخمسة طريقة سار عليها وبرز فيها .
وليس شوقى هو الوحيد الذى تناوله المؤلف بالنقد والتجريح ،
بل تناول معه الكاتب الوجدانى مصطفى لطفى المنفلوطى عند تقريره

كتاب الديوان تأليف المازني والعقاد . وكتاب الديوان قبل كل شيء ، نقد لشخصيات الأدباء لا لآثارهم الأدبية كما صرح صاحب الغربال بقوله « ولو أنهما ترفعا كل الترفع عن الوخز في شخصيات من ينتقدانهم من الكتاب والشعرا لما كان على كتابهما من غبار ولوم وتثريب ، ولا وقعا في الهفوات إلا فيما يقع فيه سواهما من النقد... » ولقد ساق النقاد المنفلوطي بألسنة حداد ، ونسبوا إليه الجور والرجعية ولم يدعوا سهما في كنانتهم إلا رموه به ، ومع كل ذلك لم يلفت إليهم الجيد ، ولم تهمة مفترياتهم وتقولاتهم . بل سار في طريقه الفويم يؤدي رسالته في الحياة ، وكأن الضجة التي قامت من حواه لا تعنيه شخصيا . وازوراره وصدوفه عن الناس المغرضين ، نال ثناء الجماهير وحاز إعجاب القراء ورضاهم ، وها هي ذى آثاره مقروءة في كل بقعة من بقاع العرب ، لا يستغنى عنها الكبير والصغير بشهادة كبار الأدباء في الشرق العربي . ورحم الله « شوقي » إذ قال في تأيين المنفلوطي :

يا مصطفى البلغاء أي يراعة فقدوا وأي معلم بيراع
اليوم أبصرت الحياة فقل لنا ماذا وراء سراها اللعاع
وصف المنون فكم قعدت ترى لها شبحا بكل قرارة ويفاع
سكن الأحبة والعدى وفرغت من حقد الخصوم وهوى الأشباع

كم غارة شنوا عليك دفعتها تصل الجهود فكن خير دفاع
فاذا مضى الجليل المراض صدوره وأتى السليم جوانب الأضلاع
فافزع إلى الزمن الحكيم فعنده نقد تنزه عن هوى ونزاع
وبعد هذا لنفتح الصفحة الرابعة والستين بعد المائة حيث يحدثنا
المؤلف عن ديوان أغاني الصبا لمحمد الشريق . صدر هذا الديوان في
عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرين . وهو من الكتب التي عفى
عليها الزمن . وكان الأجدر بالمؤلف أن يأتي بنا بنقد كتاب جديد
يستفيد منه القراء . والناقد المختص الذي لا يرجو من وراء نقده إلا
خدمة قرائه ، هو ذلك الذي يطلع عليهم بأحدث الآراء وأنضج
الأفكار ، ولنفرض أن المؤلف لا يود حذف شيء من كتابه ، أما كان
بالامكان أن يأتي بآثار الشريق الحديثة فيقارن بينها وبين أشعاره
في أغاني الصبا كما يفعل سائر النقاد ؟ والذي يلفت النظر أكثر من
كل شيء قول الأستاذ « لو أخذنا أغاني الصبا بكل ما فيه لو وجدناه
نموذجاً صادقاً لآخر تطور الذوق الشعري في سوريا » .

ولرب قائل يقول : لو أراد المؤلف التحدث عن بعض مؤلفات
السوريين الجديدة لضاق نطاق الكتاب ، وردنا أننا كنا ننتظر
من الأستاذ ، عدة أجزاء من الغربال ، وكان بودنا أن نراه يساير النهضة
الفكرية بتتبع وروية ، لا أن يقتصر على جزء واحد ثم يبعثه من

جديد بعد ربع قرن دون أن يعمل على تهذيبه وتشذيبه، وهو الذي يقول « يتجدد العالم في كل يوم بل في كل نبضة قلب ورقة جفن »* .
وبعد فإن الحسنات التي في الغربال تفوق هذه المآخذ التي ذكرناها، إذ أن فيه فصولا خالدة لا تبلى مهما يمر عليها من الاعوام مثل : الغرلة ، والرواية التمثيلية العربية ، والمقاييس الأدبية ، والشعر والشعراء ، والزحافات والعلل ، والأرواح الحائرة ، والسابق ، وجزء كبير من مقال الجباحب ، وأخيراً عواصف العواصف ، وهو تحليل رائع ودراسة فنية لكتاب العواصف تأليف الكاتب الكبير جبران خليل جبران

الحياة الأدبية في الكويت

برز اسم الكويت* في أعقاب الحرب العالمية الثانية بسبب تدفق الذهب الأسود؛ وأصبح للكويت شهرة عالمية كبرى . فالصحف تتحدث عن الكويت وأسلاك البرق تردد اسم الكويت في كل رفة جفن وأصبح الحديث عن الكويت شغل الناس شاغل فبِمَ يتحدث الناس يا ترى؟ إنهم يتحدثون عن النهضة الاقتصادية والتجارية، والنهضة العمرانية، والنهضة التعليمية. أما النهضة الأدبية فلا يسمع لها خبر. ومما لاشك فيه أن النهضة الأدبية في الكويت آخذة في التطور، وهي وإن كانت ناشئة إلا أنها ستؤتي ثمارها بعد حين والباحث المنصف يقرر بكل أمانة وإخلاص أن بوادر النهضة الأدبية ترجع إلى ما قبل ثلاثين سنة عندما أسس بعض الشباب « النادي الأدبي » وكان لذلك النادي تأثير طيب في توجيه الحركة الأدبية آنذاك . وكان لمجلة الكويت التي كانت تصدر في تلك الحقبة من الزمن أحسن الأثر في دعم الحركة الأدبية، وكانت مسرحاً للكتاب والشعراء، ومن يتصفح كتاب تاريخ الكويت للاستاذ

* كتبت بناء على طلب إحدى الجمعيات الأدبية في النجف عام ١٩٥٣

عبدالعزیز الرشید الذی صدر فی سنة ١٩٢٦ یجد صورة حیه للنهضة
الأدبیه حینذاك .

أما النهضة الأدبیه الحدیثة فقد برزت ونمت فی أواخر الحرب
العالمیه الثانیة . وإن نورد هنا أسماء أو نماذج من الشعر أو النثر لعدة
أسباب أهمها ضیق المجال . وأهم عوامل النهضة الأدبیه هی أولا انتشار
الصحف العربیه فی الکویت لاسیما الصحف المصریه . هذه الصحف
التي وجد الشباب فیها ضالتهم المنشودة . والمجلة الأولى التي تأثر بها
الشباب وكانت لهم أستاذًا ومرشدًا هی رسالة الزیات . وقد أحب
القراء کتاب الرسالة حبًا جما ، وكانوا یتتبعون المعارك الأدبیه التي
كانت تدور فیها بكل شوق ولهفة . وعندما توقفت عن الصدور
طغت موجة من الحزن والأسی فی جمیع الأوساط الأدبیه .

والعامل الثانی وهو من عوامل النهضة الادبیه صدور مجلة البعثة
الکویتیة فی مصر ومهمتها تشجیع الطلبة المبعوثین علی ممارسة الكتابة
وقد لمعت علی صفحاتها أسماء کثیر من الطلبة الجامعین وغيرهم
وأصبح بعضهم یساهم الیوم فی بناء الکیان الأدبی وهي لاتزال تواصل
جهادها فی خدمة البلاد

والعامل الثالث هو إرسال البعوث العلمیه الی العراق ومصر
ولبنان وانجلترا ، وقد احتك شباب الکویت بالأندیة والمجتمعات

الأدبية الراقية في البلاد التي درسوا فيها وأخذوا يزودون الصحف بما تنتجه قرائهم .

ورابع هذه العوامل فتح الاندية الأدبية . فقد أنشئ نادى المعلمين منذ أربع سنوات . وقصده الاول ضم شمل المدرسين ثم اتسعت مقاصده وأصبح للمدرسين وغيرهم من الشباب . وأصدر النادى مجلة شهرية إسمها الرائد وهى جادة فى رفع المستوى الأدبى منذ صدورها . والنادى الثانى هو النادى الأهلى وقد أسس للرياضة فقط ثم أنضمت إليه نخبة من الشباب المتعلم فأخذ يسهم فى ميادين أخرى غير ميادين الرياضة ، والنادى الثالث هو النادى الثقافى القومى والغرض من إنشائه نشر القومية العربية فى البلاد وقد أخذ يتقدم تقدما ملموسا وأصدر مجلته الايمان قصد تقوية الروح القومية ونشر الأدب .

أما جمعية الإرشاد الاسلامية فهى مؤسسة دينية تدعو إلى فهم الدين على حقيقته وقد كان لجهوداتها التى تبذلها أثر طيب فى المجتمع ومجلتها الإرشاد جادة فى نشر فكرتها وأهدافها بكل نجاح . وهذه الصحف جميعها تتلقى مساعدات مالية من المعارف فى الكويت .

ومن المجلات التى كان لها أثر حسن فى الأوساط الأدبية ، وبرز على صفحاتها مجموعة من الأدباء ، مجلة كاظمة وقد كانت مقروءة فى البلاد العربية المجاورة . وعادت مجلة الكويت الى الصدور ولكنها

توقفت بعد حين وكذلك صدرت مجلة البعث ولم يكن حظها
بأحسن من حظ زميلتها.

هذه أهم عوامل النهضة الأدبية الحديثة في الكويت أما الأدباء
فمنهم الشعراء والكتاب . فالشعراء نظموا في نواح كثيرة من الأدب .
نظموا في الغزل والوطنية وفلسفة الحياة ونبغ منهم بضعة شعراء
مجددون اتصلوا بالآداب العربية الحديثة اتصالاً وثيقاً وتزودوا من
الأدب العربي القديم واستطاعوا أن ينتجوا شعراً يتذوق وينشد في
المجالس والمحافل الأدبية وبرز من الشعراء نفر نظموا أشعاراً باللغة
الكويتية المحلية وهي لا تقل روعة عن الشعر العربي الفصيح ، لأن
الشعر الجيد ينبع من أعماق النفس مهما تكن اللغة التي ينظم بها .
أما جماعة الكتاب فلهم جولات طيبة في ميادين الأدب . وقد
نشرت لهم الصحف المحلية أبحاثاً تشهد لهم بالاطلاع والفهم العميق .
وقد حاول بعضهم كتابة القصة القصيرة ، وما يدعو إلى التفاؤل
اشتراك المرأة الكويتية في إنعاش الحركة الأدبية وصرنا نرى فتيات
كويتيات ينشرن كلمات تبشر بالخير العميم .

مولد النور

ظلمات فوق ظلمات ، وعالم سادر في ضلالتة ، وإنسانية مبهضة الجناح تتخبط في دياجير الجهل ، وملوك أعمت بصائرهم لذائد الحياة فغاصوا في الملامى وانغمسوا في اللذائد وتركوا شئون العباد ، وكلفوا الرعية مالا يطيقون ، واستعملوا معهم صنوف الشدة والإرهاق . وكان يتعالى بين الفينة والأخرى نداء المستضعفين من الناس . . نداء ضعيف يتلاشى بين ضجيج المتخومين وعربدة المنعمين . . نداء ضعيف يخرج من أفواههم ، لابل من قلوبهم المقروحة . . نداء لا يحفل به أهل الأرض — لان الرحمة والشفقة زالتا من الأرض — فيرتفع إلى السماء . . إلى . الله ، مدبر هذا الكون ، نداء ضعيف يقول : « متى الفرج يامن بيده الفرج » ؟

أمم متفرقة لا يربطها رابط ، متفككة الأوصال ، منخورة الكيان كل منها تباهى الأخرى وتحاول بما تستطيع إخماد ذكرها ، وإيرادها مورد العطب والدمار . وأيد سرية تعمل في الخفاء لإذكاء نار الحرب بينها ، ودماء زكية تراق على الغبراء ، ظلماً وعدواناً . . ونساء ضعيفات يولولن ويندبن أبناءهن . وأزواجهن ، ويرفعن أكفهن إلى السماء

قائلات : « متى الفرج يا من بيده الفرج » ؟

عادات وتقاليد عمياء يتمسك بها الناس . . عادات وتقاليد تقودهم إلى هاوية ماله من قرار ، وآلهة يصنعونها من حجارة وطين ، ثم يخرجون لها ساجدين ، ونيران يوقدونها بأنفسهم ثم يلتفتون حولها طالبين منها البركة والغفران ، وإذا ما اعترض عليهم معترض هبوا الدفاع عن الآلهة ، واستلبوا روحه من بين جنبيه ، وهو يستغيث ويقول : « متى الفرج يا من بيده الفرج ؟ » .

أطفال يوأدون وهم على قيد الحياة . ما ذنب هؤلاء ؟ وما الذى ارتكبه من الجرائم ؟ ليس ثمة جريمة أو ذنب إلا أن آباءهم يتخلصون منهم خوف الإملاق . . فتصعد أرواحهم البريئة إلى السماء ، نائرة على الأوضاع ، وهى تشكو ظلم الانسان ، ومن خلفهم قلوب ضعيفة تتوجع ، وأكباد تتفتت ، هى قلوب وأكباد الأمهات اللاتى صدمتهن الحوادث وجعلتهن يرسلن آهات مؤلمة . وأنان متقطعة يمازجها صوت ضارع يقول « متى الفرج يا من بيده الفرج ؟ » .

فى ذلك الوقت المصيب المليء بالفوضى والمأسى ، انبعث صوت حبيب من شعاب مكة ووهادها ، صوت رددته البوادي والجال والبحار والوديان ، صوت زلزل صروح الكسروية . وحطم عروش القيصرية ، ذلكم هو صوت النبوة السمحاء .

يا لفرحة البشرية ! يا لفرحة الضعفاء ! يا لفرحة المظلومين !
لقد استجاب الله النداء ، وأرسل رسوله رحمة للعالمين .

أرسله لرفع الكابوس المرعب الجاثم على صدر الإنسانية
أرسله لانتشال العالم الذى دهورته المادية العمياء والمطامع الرعناء
أرسله لتحطيم الأغلال ، وبذ العداوات ، والمشاحنات ،
وتطهير النفوس من الغل والحسد .

وأرسله لنشر الإسلام والأمان فى ربوع المعمورة وإعلاء مجد
العرب الذى تقاذفته العواصف الهوجاء قرونا بعد قرون .

انبعث صوت النبوة من أرياض الحجاز هاديا مهديا . إنه صوت
حبیب ينزل على القلوب كنزول الماء الزلال فى يوم قائف ،
إنه صوت محمد :

أيها الناس .. أيها الناس .. أيها الناس .

وتتطاول الأعناق ويلتفت الناس إلى صاحب النداء يتساءلون
فيما بينهم : ماذا يقصد محمد بهذا النداء ، ألا إن وراءه لأمر . فدعونا
نستفسره ، فيقولون :

ليك أيها الصادق الأمين ، ماذا تريد .. ؟ كلنا آذان مصغية .

أيها الناس ، اعبدوا الله الذى لا إله إلا هو واشهدوا أنى رسوله .
فينزل هذا الكلام على قلوب المهتدين برداً وسلاماً ، وعلى قلوب

المتعتين نزول الصاعقة ، إنهم لا يعلمون ، أن لهم إلهاً غير هذه
الآلهة فما بال محمد يدعوهم لنبذها ، ويتهامسون فيما بينهم : ماذا
حل بمحمد ؟ أصابه مس من الجنون ؟ أمممكن أن تترك آلهتنا الحبيبة
ونعبد الهأ لا نعرفه ولم نره ؟ إن هذا شيء عجيب ، ثم إن محمداً منا
يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق فكيف يرسله الله نبياً ؟ هذا لا
يكون . ويجترأ بعض السفهاء ، ويتطاولون على مرشد البشر
بالكلام الجارح والنقد المهين ...

مساكين إنهم لا يعلمون .. لا يعلمون أنه محمد .. محمد منقذ العالم ،
مبدد الشرك والضلال . محمد مبدد سحب الجهل التي خيمت على العالم
حيناً من الدهر . محمد قشارة الزمن الخالدة ، يفتي الزمان وتفتي الدهور ،
وتدول الدول وتزول الشعوب . ومحمد يذكر خمس مرات في اليوم
على مآذن بلاد العالم في الشرق والغرب ، لو علموا أنه هو لما ناوءوه ،
ولما وقفوا معه موقف الخصيم للخصيم ...

استمر خصومه في عرقة مسعاه ، والحيلولة دونه ودون بلوغ
مبتغاه ، واستمر الرسول في بث دعوته ، لا يحفل بما يسمعه من مر
الكلام ، ولا يشيه عن عزمه إيذاء السفهاء ، وأخذ ينشر دين الله بين
عشيرته وقومه ، فأمن به معشر وكفر به آخرون ، وظن خصومه
أن دعوته ستلاشي على مر الأيام ، وسينسحب من الميدان بعد أن

ينفض من حوله أقرباؤه ومريدوه ، ولما أعياهم الأمر عرضوا عليه
الأموال والعطايا والجوائز والهدايا في سبيل ترك دعوته ، ولكنه لم
يأبه لما يقولون ، بل سار في طريقه رافع الرأس ثابت العزيمة ، وصار
يسخر من آلهتهم ويضحك على عاداتهم وتقاليدهم ، ويعرض عليهم
فرائض الاسلام

وهاهم الأمر لما رأوا دين الله ينتشر يوما بعد يوم ، فسلطوا عليه
بعض الرعاع من أبناءهم يكيلون له الأذى ، ويتربصون به الدوائر . . فماذا
فعل ؟ وهل دعا عليهم بالويل ؟ كلا ورب البيت . . لقد كان نبيا سمحا
نبلا لا يحب الانتقام ، وكان يعتقد اعتقادا راسخا أن دعوته ستثمر
وتنجح مهما يلق من العنف والارهاق ، وما كان منه إلا أن رفع
كفيه إلى السماء وأرسل كلمته العظيمة الخالدة : « اللهم اغفر لقومي
فإنهم لا يعلمون » ولو لم يتخذ الرسول هذا التسامح ، لما استطاع
تلاميذه — بعد سنوات قليلة — أن يقتحموا أبواب أوربا والصين :
« ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك »

رسالة من الأعماق

سيقلب الزمن يا صاحبي بعد أيام صفحة جديدة من صفحات حياتك، ولست تدري ولا أحد يدري إلا الله ما تخبئه لك السنة الجديدة بين طياتها. أشقاء فوق شقاء؟! أم استقرار يتبعه هناء؟ لقد اعتدت في السنوات الماضية أن تكرر على مسمعي نشيد البؤس ونعمة الحرمان، حتى خشيت أن تخترمك يد المنون وأنت لا تزال في ريق العمر ورييع الشباب. انني لا أعرف يا صاحبي سبب هذه الكتابة المرتسمة على محياك في كل وقت وآن، هذه الكتابة التي أضنت جسمك الغض الريان، ولوت عودك الفينان، وجعلتك شبحا خائر القوى محطم الأعصاب..

إنك يا صاحبي في ربيع الحياة، ذلك الدور الذي يجب أن تسعى فيه جاهدا، لا خائفا ولا وجلا. فالحياة كفاح ونضال، ومن يقنع بما بين يديه، ويركن الى الدعة والخنول لا يجد من الناس إلا الصدود والازورار، والا نظرات التهمك والاحتقار. وتستطيع يا صاحبي بما وهبك الله من ذكاء وحكمة أن تشق طريقك رافع الرأس قوى الشكيمة.

ستقول يا صاحبي إنك لم تقدر حق قدرك، وحشرت مع أناس

هم دونك ثقافة ومعرفة فأصابك من جراء ذلك ، يأس قاتل ، صرفك
عن كثير من الشؤون ولكنك مع ذلك غير مصيب في ادعائك ، إنك
إن بقيت على حالتك هذه سينساك الناس أو بالأحرى سيتناسونك ،
ومن مثل الناس في نكران الجميل ؟ وخير لك أن تحطم هذه الأغلال
التي فرضتها على نفسك ، وتخرج من عزلتك ، وتنتشر على الناس
تجاربك التي سهرت عليها سنوات ، وأفنيت زهرة شبابك في اكتناء
أسرارها وكيف يعرفك الناس يا صاحبي إلا من آثارك ؟ وكيف
تريد أن يحترموك ويقدروك حق قدرك ، وأنت قابع في برجك
العاجي ترمق مسرح الحياة عن كشب ؟ إنك إن لم تصور ما يكتنفك
من أفراح ومسرات وأتراح وآلام ، وتغمس قلبك بدم قلبك ، لن
يلتفت إليك الناس ، وستبقى مهملا في زوايا النسيان ، فهل ذلك
يرضيك ؟ ...

وستقول إنك إذا فعلت ذلك سيحسدونك ويحاولون تحطيمك بكل
مالديهم من وسائل الفتك . والإيقاع بك ، والتخلي عنك ، وما يضيرك
يا صاحبي ؟ ألم أقل إن الحياة كفاح ونضال ؟ وماذا يهمك إن كنت
ترضى ضميرك ، وتؤدي الواجب الملقى على عاتقك ؟
إنهم سيحتقرونك — ما في ذلك من شك — إن رمرك تخطو في
طريق النجاح ، وسيحز في نفوسهم أن يجدوك تبههم ، وتحظى بما

حرموا منه ، وهذه هى جيلة البشر . فالتناس يحتقرون الشخص إذا كان خامل الذكر ، ليس له شأن فى الحياة الاجتماعية ، فإذا ماسهر الليالى ونال حظوة وشهرة ، وكون له ذكرا فى المجالس والأندية ، تطاولت إليه أعناق الحاسدين ومن ثم أخذوا يحتقرونه . لأنه أصبح شيئا فى المجتمع . وخير لك يا صاحبي أن تكون شيئا مذكورا من أن تكون منسيا لا يعرفك أحد . وبعد كل شيء فالزمن لا يخلو من المنصفين الذين يقدررون الأعمال الجليلة ، ويؤمنون بالقيم الروحية ، وإن كانوا من القلة بحيث يتلاشى استحسانهم بين جحود الجاحدين .

أما دعوتك يا صاحبي لترك الأدب وحرق الكتب التى فى حوزتك ، فهذا سفه لا يليق بك . وكيف تطاوعك نفسك على حرق الأسفار التى ظلمت ردحا من الزمن تسامرها وتسامرك ، وأسدت إليك أياذى ناصعة لا تستطيع إنكارها ، وقدمت إليك زادا عقليا شهيما ما كنت لتستطيع الحصول عليه بدونها ؟ وكيف مللت صحبتها ، بعد أن كانت سلوكك الوحيدة فى دجى الليل وإشراق النهار ؟ ألم تقل لى مرارا إنها أعز شيء لديك فى الحياة ؟ ألم تكن تقيم الدنيا وتقعدها عندما كانت تمتد إليها فى بعض الأحيان أكف إخوتك الصغار ؟ .

أنسيت أنك حرمت جميع المعارف والخلاص استعارة كتاب واحد منها ؟ أتذكر تلك النصائح الكثيرة (فى حفظ الكتب والاعتناء بها)

التي كنت تدلى بها لأخيك عندما يقرأ كتابا من هذه الكتب التي
تزمع الآن إبادتها؟ إنني لا أظنك يا صاحبي إلا مازحا، وإن كنت
صادقا في زعمك، فأرجوك ألا تفعل، أجل يا صاحبي لا تفعل
وتبصر بعواقب الأمور قبل أن تقدم على ما أنت مقدم عليه.

وبعد ماذا جنى هذا الكنز الأدبي الزاخر حتى تجزيه جزاء سنهار؟
أعمل ذلك لأنك تعتقد أن هذه الكتب التي أفنيت فيها نور بصرك
ودم قلبك — لم تساعدك على النجاح، فبقيت كما كنت من قبل،
مهملا لم تقدر كما يجب أن تكون؟؟ إن كان هذا اعتقادك فأنت
مخطيء كل الخطأ. أتدرى لماذا؟ لأنك لا تعرف، أو بالأحرى لا
تفكر أن الإنسان إذا نسي اليوم لسبب ما سيذكر غدا مهما يكن من
شيء، وما أجمل قول الشاعر الأمريكي لونجفلو « تعز أيها القلب
الكئيب وكف عن الشكوى، فوراء الغيوم لا تزال شمس مشرقة... »
ثم أليست هذه الكتب خيرا من هؤلاء الأصدقاء، الذين لا
يتمنون الخير لأحد، ومن هو الصديق يا صاحبي؟ أهو ذلك
الشخص الذي تبثه بعض ما يعصف في قلبك، وتظنه كنز الأسرار
فلا يمضي وقت حتى تجد أسرارك قد سرت بين الناس وأصبحت
على المشاع؟ أم هو الشخص الذي يمطر بك بوابل من مديحه وثنائه
حتى إذا ما اختفيت عن ناظريه أخذ يغتتابك ويندد بك على رؤوس

الأشهاد؟ أم هو الذى يصادقك لحاجة فى نفسه ، وتراه يخلص لك
كأحسن ما يكون الصديق ، فاذا نال ما يتمناه تخلى عنك وتركك
حائرا تتساءل عن السر الذى جعله يبتعد عنك ، فلا تصل إلى حل ما ؟
أم هو الذى تحترمه وتقدره فتأتيه بين حشد من معارفه وأصحابه
فتحييه ، فلا يرد التحية كما يجب ، وإنما يغتصبها اغتصابا ، ويكتفى
بهز رأسه بتكبر وخيلاء ؟

هؤلاء هم الأصدقاء ، فهل تفضلهم على كتبك الحبيبة ؟ . احتفظ
بكتبك واقذف هؤلاء كما تقذف كرة فى الهواء . وسر فى الطريق كأنك
لا تعرفهم ولا يعرفونك ، وعندها يخلو بالك للاتجاج ويصفو ذهنك
للعمل . . . هذه كلمات أملاها على وضوءك الراهن . .

فأرجو مخلصا أن تكون سنتك الجديدة خيرا من سنواتك
الماضية ، وابتهل إلى الله أن يحبوك بروح منه ويأخذ بيدك إلى
الدرجة التى تصبو إليها نفسك .

كلمة في الأدب العراقي الحديث *

كتب الاستاذ عبد القادر البراك في جريدة الحرية الغراء كلمة بعنوان (لماذا تكون المؤلفات العراقية وقودا للحمامات ؟) استلها بمحاكية واقعية ساخرة وهي أن المرجع من المؤلفات القصصية لصديقه الاستاذ خالد الدرة قد استعمله كوقود للحمام في الشتاء المنصرم ، ثم علق الكاتب قائلاً (فاذا كان مصير هذه الآثار الأدبية الى أن تغدو وقودا للحمام فأية حياة أدبية لهذا الشعب ، بل أى تقدير يحفظه الشعب لأدبائه المنقطعين لتصوير آلامه وآماله) .

وأشار الكاتب الى أن هذا المصير هو مصير معظم المؤلفات العراقية في هذه الأيام ثم تساءل عن السر الذى يقف بالقارئ عن اقتناء هذه المؤلفات ويجعله يقرأ بشغف زائد المؤلفات التى تصدر فى مصر ولبنان ، أهو مركب نقص بالقارئ العربى ؟ أم هو فن الطباعة والاناقة والاخراج ؟ هذا ما تساءل عنه الكاتب وطلب من القراء مساعدته على اكتشاف الأسباب

وليسمح لى الكاتب أن أدلى بكلمة بصفى أحد القراء الذين تهتمهم الحركة الفكرية فى العراق ويرجون لها الرواج فى الأوساط الأدبية

وذلك لأن العراق مهد العلم والعرفان منذ القدم وقد لمعت فيه حركات فكرية في مختلف العصور كانت نبراسا للعرب والاسلام في شتى أقطارهم . وكان فحول الشعراء والأدباء تخرجهم العراق ، فلا عجب أن يصطدم القارئ العربي بالواقع المرير اذا وقف على الوضع الفكري الراهن في العراق اليوم .

إن على ضفاف دجلة والفرات أدباء لا يقلون عن اخوانهم في مصر ولبنان وإن في العراق شبابا مزودا بالثقافتين العربية والأجنبية ويستطيع مواكبة النهضة في البلاد العربية الأخرى فما هو إذن سبب الركود الذي تساءل عنه الاستاذ البراك ؟

إن أهم شيء في الموضوع هو قصور الصحافة العراقية عن اللحاق بالصحافة المصرية واللبنانية . فنحن نقرأ آثار العراقيين في الصحف المصرية فقد كنا نقرأ لهم في الرسالة والثقافة والكتاب وغيرها من الصحف المصرية وها نحن أولاء نقرأ لهم في الصحف اللبنانية كالآديب والآداب فلو كانت في العراق صحف أدبية راقية تصدر بانتظام وتنشر في العراق وخارجها لما أقدم الأدباء على نشر إنتاجهم في الخارج . لقد كانت مجلات الغرى والهاتف وعالم الغد وغيرها تقرأ في الكويت منذ سنوات وكان يكتب فيها كثير من الشباب العراقي ولكن صدورها المضطرب وازورار أكثر الكتاب عنها وانقطاعها

عنا أخيراً جعلنا نحرم من متابعة الحركة الأدبية في العراق أما الكتب والمؤلفات التي أشار إليها الكاتب وعدم رواجها وانتشارها فذلك راجع الى عدة أسباب أهمها :

١ — الطبع والاخراج والالاقة . وهذا ما أشار اليه الكاتب لأن القراء ينقسمون الى ثلاثة أقسام قارئ أديب وهذا يقرأ الكتاب سواء طبع طبعاً أنيقاً أو طبع طبعاً عادياً وهدفه الاستفادة من قراءته وقارئ متأدب يفضل أن يقرأ الكتب ذات الإخراج الأنيق . وقارئ عادي لا يقرأ الا الكتب الأنيقة ، وهذه حالة نفسية تحتاج الى دراسة طويلة وليس هنا مجال لبحثها .

٢ — الأخطاء المطبعية الكثيرة التي توجد بكثرة في المؤلفات العراقية العلمية منها والأدبية ، وأكثر المطابع في العراق مطابع غير مستعدة استعداداً فنياً للقيام بهذا العبء الفني وهناك كتاب عظيم أخرجته المطابع العراقية هو كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » للمؤرخ العراقي الدكتور جواد علي وقد استقبله الناقد المصري الاستاذ محمد عبد الغني حسن استقبالا طيباً في مجلة الكتاب المصرية واعتبره كتاب الموسم ولو طبع هذا الكتاب في القاهرة في مطابعها الفنية ونشرته إحدى دور النشر المعروفة لكان له شأن آخر .

٣ — الدعاية الأدبية — إن الدعاية للمؤلفات العراقية ضعيفة

جدا بالنسبة للدعاية المصرية أو اللبنانية فنحن نرى دور النشر في مصر ولبنان تخصص مبالغ طائلة للدعاية في جميع البلاد العربية ، وهذا هو الذى جعل الكتب والمجلات المصرية تنتشر كل هذا الانتشار ولو ظفر العراقيون بدعاية واسعة النطاق لآثارهم الأدبية لما استعملت النسخ المراجعة من كتبهم وقودا للحمامات في الشتاء !

هذا في نظرى جواب ما تساءل عنه الاستاذ الأديب عبدالقادر البراك وربما كانت هناك أجوبة أخرى عند إخواني القراء .

وثيقة إستعمارية من القرن العاشر الهجرى

كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان فى مجلة الكتاب المصرية فى عدد فبراير سنة ١٩٥٣ مقالا بعنوان وثيقة دبلوماسية إسلامية ، من سلطان تلمسان إلى أمبراطورة إسبانية . فرأيت أن أعلق عليه فى نفس المجلة بيد أن إحتجابها حال دون ذلك . وها أنذا الآن أنشر التعليق هنا * خدمة للتاريخ والواقع .

هذه الوثيقة التى سماها الأستاذ وثيقة دبلوماسية إسلامية ليست إلا وثيقة إستعمارية خطيرة كتبها شخص فقد العزة والكرامة وخلت نفسه من الشهامة والمروءة . وعجبت أشد العجب كيف نشرها الأستاذ بدون تعليق وهو المؤرخ المحقق أما سبب كتابتها فهو كما ذكر الأستاذ أن أمير تلمسان عبد الله كان فى حرب مع خير الدين صاحب الجزائر ، فلم يجد وسيلة يقهر بها خير الدين سوى الاستنجاد بأمبراطورة إسبانية التى كان لها أطماع كثيرة فى المغرب العربى وكان زوجها حينذاك يقاتل جيوش السلطان سليمان العثمانى على ضفاف الدانوب طمعا فى الاستيلاء على بلاده وما جاورها من بلاد الإسلام . فما أن تسلمت الإمبراطورة هذه الوثيقة حتى رقص قلبها فرحا وأيقنت أنها ستفوز

بأحلامها التي راودتها في استعمار الجزائر وما جاورها . هذه البلاد التي كان يطمع الأسبان في استغلال خيراتها منذ أمد بعيد فأرسلت في الحال أسطولا لمحاربة خير الدين مكونا مع أربع عشرة سفينة رست قريبا من تلمسان . وفرح الأمير عبد الله ظانا أن الأسبان أمدوه حبا له ولبلاده ولم يعلم المسكين أو تجاهل أن هذا يثلج صدور الأسبان المستعمرين .

وجمع الأمير عبد الله قواته معتمدا على أسطول المستعمر وهجم على خير الدين في الجزائر ولكنه ارتد على أعقابهِ خاسرا . وتشنت جيشه في الفلوات . أما الأسطول العتيق فقد ظل يرقب المعركة عن كسب ولم يشترك في القتال عندما رأى قوات خير الدين كفيلة بأن تهزمه هو أيضا فطلب الأمير عبد الله الصلح والصفح من خير الدين بعد أن فر إلى بلاده تلمسان . فصفح عنه الرجل الشهم خير الدين وعامله معاملة كلها تقدير وحب وقد كان باستطاعته أن يقتله ويبطش بأتباعه . أما أسطول المستعمر فقد ولى الأدبار .

والآن أقدم للقارئ الكريم نتفا من الوثيقة ليطلع على نفاق الأمير عبد الله وأفكاره الاستعمارية السوداء ، بدأ رسالته أولا بهذا النفاق المكشوف

« الحضرة التي جل في الأقدار قدرها ، واشتهر في الفضائل

والمفاخر فضلها وفخرها ، حضرة السلطنة الجميلة الفاضلة الكاملة الشهيرة الخطيرة الحسبية الأصيلة » .

أرأيت كيف ينعت هذه المرأة المستعمرة بأجمل النعوت والأوصاف ؟ إنه لو علم أن رسالته هذه ستطوى الأجيال ويقرأها الناس في كل مكان لما أقدم على فعلته . ويظهر أنه كان يبين الأسباب فتور قبل كتابة هذه الوثيقة بدليل قوله « ولا تلتفتوا لما كنّا نوهنا به في العام السالف من تقديم من قدمناه . فمقامكم أوسع فضلا وأرجح عقلا من أن يظن أن ذلك كان منا عن حقيقة أو أنا ارتضينا سلوك تلك الطريقة » .

فتراه هنا يعتذر عما بدر منه سابقا ويقول إن ما حدث لم يكن عن حقيقة . وأعتقد أن الأمبرطورية عندما قرأت هذا الكلام ضحكت من عقله السقيم . ثم يقول « ولما أعيانا أمره (ويقصد خير الدين) واشتد تنكيره وضره ، أظهرنا له ما كنا نخفيه من عداوته وقابلناه بما يليق بفساد نيته وخبث سريره » .

ثم يطلب النجدة بقوله « وغرضنا منكم أن تبادروا لتوجيه العمارة في الحين والوقت بالجد والعزم وتجهّدوا في ذلك غاية الاجتهاد والاختد والعزم والحزم وتكونوا عليه برأ وبجراً يدا واحدة وفئة مساعدة » .

وهذه المقتطفات من الوثيقة تدل على ضعف نفسية هذا الرجل
الذى يستنجد بالعدو المستعمر على أخيه في الدين والوطن. وما أكثر
ما يتكرر مثل هذا الأمر المستهجن في كل عصر وقطر .

الأدب الحجازي

في الحجاز نهضة أدبية مباركة ، واسعة النطاق ، بيد أنها حتى أمس القريب كانت مجهولة لا يعرف عنها قراء العربية شيئاً في خارج الحجاز . وقد كتب الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم سلسلة مقالات قيمة عن الحياة الأدبية في الحجاز في مجلة الرسالة لاقت استحسان أ كثرية القراء في البلاد العربية ، ونالت إعجابهم وعرفتهم بشعراء وأدباء ذلك القطر الشقيق الذي كان له في سابق الزمان منزلة أدبية مرموقة ، فقد أخرج شعراء وبلغاء قلدوا جيد البلاغة عقوداً لا لآلة لا يجملها كل من درس الأدب العربي .

وعندما رأى الأستاذ أبو بكر إقبال القراء على أبحاثه وشغفهم الشديد بالتعرف على الأدب الحجازي ، جمع كل ما نشره في هذا الصدد وزاد عليه ما استطاع الحصول عليه ومن ثم أصدر كتابه النفيس « الأدب الحجازي في النهضة الحديثة »

يرى المؤلف أن أهم عوامل النهضة السعودية تنحصر فيما يلي .
١ - تشجيع الملك أدباء البلاد وشعراءها وذلك بتعيينهم في مناصب الدولة . كالشيخ محمد سرور الصبان ، والغزاوي وعلي حافظ ، وعبد القدوس الأنصاري ، وعبد الله بلخير ، وغيرهم . ومما لا شك

فيه أن الأديب إذا وجد تشجيعاً من الجمهور أو السلطة الحاكمة ضاعف
مجهوداته وسهر ليله لينال رضى مواطنيه ، وهو بعمله هذا إنما يقدم
أجل خدمة لوطنه. وهل هناك خدمة أجل وأفضل من هذه الخدمة ؟
وأدباء الحجاز عندما شاهدوا أهل البلاد يشذرونهم ويساعدونهم
مساعدة فعالة ، شمروا عن ساعد الجد وغاصوا بين الطروس يغذون
أرواحهم ، وينهلون من ينابيع الأدب الفياضة حتى فاضت قرائحهم
شعر رقيق وأدب رفيع .

ب — عناية الحجازيين بالقومية العربية التي أغفلها الناس بسبب
استيلاء الأتراك على بلادهم مدة مديدة من الزمن . والأدب لا ينتعش
ويزدهر إلا إذا قويت الناحية القومية وعرف الناس أهميتها ، فهو
يقوى بقوتها ويضعف بضعفها ، وأكثر الأدباء في الحجاز يتطرقون
إلى ذكر هذه الناحية الهامة في أشعارهم ، ويتلهفون على مجدهم التليد
الضائع الذي بناه أبطال العرب ، ثم عاثت به يد الحدثان . وفي ذلك
يقول الغزاوى :

فما بنفسى مما تشكى حرق	ولا تعشقت آراما وغزلانا
لكن سكبت دمي دمعاً على وطنى	قد كان في المجد والتاريخ ما كانا
أرسي قواعده الأبطال من مضر	فراح ينشد فوق النجم أكنانا
وساد بالدين والدنيا وسائله	وطبق الأرض إيماناً وعرفانا

وفي ذلك يقول أيضا عبد الله بلخير :

بوركت يا عزم الشباب وقُدّست روح الشجاعة فيك والاقدام

أمل الجزيرة قد أنيط بعزمكم بغداد ترقب نوره والشام

متطلعين إلى الحجاز فانه في كل عصر قائد وإمام

ج — فتح المدارس ومعاهد العلم التي تقوم بتشقيف ناشئة البلاد

على مبادئ قومية بخلاف المدارس التي أنشأها الأتراك والتي صبغت

ناشئة الحجاز بصبغة تركية خالصة وقد فتحت في الآونة الأخيرة

مدارس ثانوية تدرس فيها المناهج المصرية ويدرس فيها الفيف من

شباب مصر المثقف

وهذه هي أهم أسباب النهضة في الحجاز كما يراها المؤلف . أما

الذين يحملون راية الأدب في البلاد فقد قسمهم الأستاذ إلى قسمين ،

طائفة متسدة متمهلة تجمع بين محاسن الأدب القديم والأدب الحديث .

وطائفة مغالية جدا في التجديد . فالغزاوي والعربي وبلخير من

الطبقة الأولى المتسدة . ومحمد سرور ، وعمر عرب ، وعواد ، وحسن

فقي ، من الطبقة الثانية المغالية في التجديد . فمن شعر الطبقة الأولى

قول الغزاوي في الغزل :

قلت صب أصيب بالحب قالت روع الله من على الحب لامك

أنت من (لية) بداره عوف حيث فرط العفاف يذكي غرامك

إن فيها من الظباء لحورا يتناجين في المروج مرامك
فاغضض الطرف إن علمت وخالس نظرة الحب واستدم اثامك
لا تغرنك بسمه من كعاب فتؤاى على اغترار حمامك
وهذه القطعة من الغزل الرقيق ، تذكرنا بغزل شعراء العرب
القدامى من حيث الجزالة والرصانة والقوة ومن شعره الرقيق
أيضا في الوطن :

أنا لا أزال شقي حبك هائما في كل واد
زعم العواذل أنني أسلمو وأجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للصائب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعا بالعز ما بين البلاد
والطبقة المغالية في التجديد تقلد أدباء المهجر في نظم الشعر فمن
ذلك قول محمد حسن فقي :

حسبي من الدنيا الحقيرة أن أراك لدى المساء
تلقى بنورك في القلوب كبلسم يزجي الشفاء
فأعود بالذكر إلى عهد اللذاعة والهناء
وأبث ما يجد الجنان
حسبي من الدنيا بقاءك ساطعا فوق الهضاب

مترنحاً من نشوة الحسن المسيطر والشهاب
متطلعا من عرشك العالى إلى أسرى العذاب
ترنو إليهم فى حنان

والشاعر هنا قد قلّد شاعرا المهجر الكبير ايليا أبى ماضى فى
قصيدته « المساء » : وهذه قطعة للشاعر عمر عرب :

حدثني عن الصبا والشباب عن زمان الهناء بين الصحاب
حدثني

حدثني عن الهوى يا مهاتى إن هذا الحديث يحيى رفاى
حدثني

لست أسلو هواك يا هند يوما لا ولم أخش فى عذابك لوما
صدقني

ذكرني بذلك العهد هند كيف نلنا الآمال والعيش رغد
ذكرني

كم قطعنا عهد الصبا بالسرور كم رتغنا على متون الجبور
ذكرني

ومن شعراء الحجاز الذين ذكرهم المؤلف فى كتابه ،
أحمد عبد الغفور عطار ومن شعره الرقيق :

وظننا أن ذا أول فجر لاح فى دنيا المنى أول مره

فقطفت الزهر من أجمل ثغر بعض ما أرجوه أن أشرب خمره
ومنهم عبد الوهاب آشى وعبد العزيز الرفاعى ، وأحمد قنديل ،
وحسين سرحان ، وإبراهيم هاشم فلالى ، وعزيز ضياء الدين زاهد ،
وحمزة شحاته .

ثم تحدث المؤلف فى الفصل الأخير من الكتاب عن
نهضة النثر ، وذكر من الكتاب عبد الله عريف ، وأحمد جمال ،
وأحمد السباعى ، وزيدان ، وحسين خازندار ومحمد سعيد العامودى ،
وعبد السلام عمر ، وأحمد العربى ، وعلى حافظ ، وأمين عقيل ،
وحسن كتي ، وغيرهم . وهؤلاء الكتاب بعضهم متشدون متمهلون
وبعضهم مجددون وأكثرهم يجمع بين النثر والنظم .

وهناك أدباء لم يذكرهم الأستاذ ، كالشيخ عمر صالح الصيرفى ،
والمرحوم السيد محمد حسين الدباغ ، والأستاذ هاشم يوسف الزواوى ،
وهم كتاب ساهموا فى بناء النهضة الأدبية فى الحجاز ، ومن الشعراء
الشاب النباه على حسن فدعق ، وهو شاعر رقيق ، وكانت له
أغاريد لطيفة تنشرها الرابطة العربية لأمين سعيد .

زواج بنات الأشراف

قرأت منذ مدة شكوى ثلاث فتيات حائرات من الكويت في مجلة المصور المصرية هذا نصها .

« نحن ثلاث فتيات في سن الخامسة والعشرين نشكو من أهلنا المتعصبين فهم من نسل الأشراف ولا يقبلون زواجنا إلا بشبان من عائلتنا ، رغم أنهم قليلون وأكثرهم يتزوجون غريبات ، وقد تقدم لخطبتنا شبان أشراف من غير عائلتنا فرفضوا ، فهل من نصيحة لأهلنا إذ أننا لا نجرؤ على مفاآحتهم في هذا الموضوع » .

إن هذه الشكوى لا غرابة فيها بالنسبة إلنا ، إذ نلمح صداها دائما على وجوه الشباب الواعى الذى يقدر حراآة الموقف ويحس بنذر العاصفة وهى تهدد الأسر الكويتية . ونود أن نعرف على أى أساس بنى هذا التحكم الجائر ، والله تعالى يقول : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ..

فيجب أن نتبع الهدى ونؤمن بما جاء به القرآن ، أما أن نتبع سنن من قبلنا ونشرع شرائع من عندنا تخالف النظم السماوية والأرضية على السواء فذلك مالا نرضاه لأنفسنا وقد أصبحنا على أبواب نهضة

شاملة تبشر بالخير وتدعو الى التفاؤل . ولننظر الى هؤلاء الذين هم من نسل الأشراف ، ولنسأل من أين أتوا؟ هل نزلوا من السماء أم انبعثوا من أعماق الأرض؟ يجب أن يعلموا إذن أن الرسول العظيم أمر بني هاشم وهم من أشراف الأسر ، أمرهم أن لا يأتوه بالأنساب وإنما يأتوه بالأعمال وأن لا يتعالوا على الناس كما يفعل بعض الجبهة منهم اليوم ، إذ يفتخرون على الناس بانتسابهم الى الرسول وهم أبعد الناس عن تعاليم الرسول . يجب أن يعلم هؤلاء أن الفقير الذى يتحلى بمكارم الأخلاق أفضل عند الله والناس من ألف شريف وشريف ، وهل يضير الشريفة إذا تزوجها شاب من عامة الناس ، إننا لو سرنا حسب ما يمليه علينا الإسلام لما بقى فينا أعزب أو عانس إلا ما شاء الله . أما والحالة هذه فإن الخطر فى تفاقم مستمر ، ولن يقضى عليه الا بعد أن يتبصر عقلاء القوم .

وهناك سؤال حيوى وهو :

هل خلقت الفتاة لتبقى فى بيت أبيها حتى نهاية عمرها ، أم خلقت

لتشاطر العمر مع شريك حياتها المنتظر ؟

ولسنا فى حاجة الى الجواب ، إن هذا الشريك لا يشترط أن

يكون من أقاربها بل المفروض أن يكون من المواطنين الصالحين .

ولنفرض أن أسر دما تضم من الفتيات أضعاف ما تضمه من الفتيان

فهل من العدل والانصاف والمنطق القويم أن تبقى الفتيات عوانس
مدى الحياة ؟ وسبحان القائل :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة) .

ويجب أن نفهم جميعا أن الفتاة تحس نفس الأحاسيس التي
يشعر بها الفتى بل أكثر مما يشعر وأن الآلام التي يعانها الشاب من
الوحدة والعزوبة هي نفس الآلام التي تعانها الفتاة التي فاتها الزواج
المبكر ، ولا سيما إذا رأت من يخطبها يرد خاسرا ، دون ما سبب
سوى أنه لا يجارى أهلها في الحسب والنسب . إنها عند ذلك تظل
تضرب أخماسا بأسداس وتكره أهلها وتضيق بأسرتها وتحقد على
العالم بأسره ونكون نحن السبب المباشر في آلامها وأمراضها النفسية ،
وبذلك نفقد أمهات كثرات كان يرجى لهن مستقبل حافل لو تدبر
أهلوهن وتبصروا . . .

وقد نشرت الجرائد المصرية منذ سنوات أن فتاة دست السم
لأسرتها المكونة من أبيها وأُمها وأخواتها لأنهم مانعوا في زواجها
بالرغم من تردد الخطاب عليها ، وبذلك انتقمت منهم لأنها فقدت
الأمل في الحياة الزوجية فأقدمت على جريمتها المنكرة .

وإننا نرى كثيرا من الشبان الأشرف لا يتزوجون فتيات من

أسرهم كما جاء في شكوى الفتيات ومعنى ذلك القضاء المبرم على آماهن
والعيش الممل الرتيب في منازل آبائهن حتى نهاية العمر !
وبعد فهذه كلمة أملتها التقاليد الشاذة التي تنذرنا بالويل ، فان كان
لها صدى فذلك ما أتمناه وإلا فيكفيني أنني بدأت في معالجة مشكلة
عويصة أرجو أن يتمها غيرى من الذين أوتوا نصيبا من الحكمة
وسداد الرأي .

آراء في رسالة

لقد تناولت في رسالتك ثلاثة أمور أود التعقيب عليها في هذه الرسالة ، أولاها مسألة القصة ، فانك تراها أداة لتزجية الوقت والترفيه عن النفس ، ولكن الواقع هو أن القصة الفنية أصبح لها القدر المعلن في عالم الأدب العالمي ، فأنت ترى أن أساطين الأدب عالجوا هذا النوع من الأدب ، فاستطاعوا الوصول إلى أهدافهم في وقت وجيز بينما عجز غيرهم من الذين عالجوا ألوانا أخرى من الأدب ولست بحاجة إلى الأدلاء بالحجج التي تؤيد هذا القول ، وحسبك أن تلقى نظرة عاجلة على إنتاج نقاد الأدب في هذه الأيام لترى الحقيقة واضحة وضوح النهار . ولقد ساهم القصصيون العالميون في بعث الشعوب بعثا مباركا ، وأناروا الأذهان بعد أن تحجرت طوال القرون الماضية ، وأرجو ألا تظن أن القصصيين هم وحدهم أصحاب الفضل في إيقاظ الشعوب ، وقيام الحضارات المتعددة ، وإنما ساهم في تلك النهضة المثمرة جماعة الشعراء والكتاب على اختلاف نزعاتهم ، ولكنني ذكرت القصصيين لأن المسألة التي نعالجها هي مسألة القصة ، والقصة في الواقع أمتع نوع في الأدب بأسلوبها الروائي السلس ، ولكنها أيضا وسيلة فعالة لبعث النفوس وإيقاظ الهمم

وإذكاء الحماس ، وإن كان القصصى من المخلصين العاملين الذين يضعون مصلحة الوطن قبل مصالحهم الخاصة .

وقد استغربت كثيرا لمهاجمتك القصاص « ع » لا شىء إلا لأنك كرهته بمجرد قراءة قصة واحدة من أقاصيصه . واسمح لى أن أقول لك إنك ظلمت هذا القصاص الشاب المبدع الذى له عشاق كثيرون وله تأثير فعال فى نفوس كثير من القراء . وإنك أنت الملموم فى هذه الحالة لأنك لم تكلف نفسك عناء قراءة قصص هذا الأديب وإنما اكتفيت بقراءة قصة واحدة له ثم حكمت عليه بالتطفل على القصة والإفلاس الأدبى . لا يا أخى أرجو أن تعدل عن رأيك هذا ، وتقرأ القصص التى نشرها الأديب المذكور بتمعن ، وسترى بعد ذلك أن رأيك السابق لم يبن على أساس من العدل والإنصاف .

والنقطة الثانية التى تناولتهاهى مسألة الشعر ، وقد فسوت كثيرا على شعرائنا المحدثين وجردتهم من الشاعرية كبيرهم وصغيرهم لأنهم — على حد قولك — لم يتوصلوا بعد الى لمس المعانى الخفية فى أعماق النفس الإنسانية . ولقد قرأت مثل هذا فى كتاب الغربال للاستاذ ميخائيل نعيمة الذى جرد كثيرا من الشعراء من صفات الشاعرية وعلى رأسهم أحمد شوقى . وقد سجلت رأيى فى نقد الأستاذ نعيمة منذ ثلاث سنوات

في مجلة البعثة الكويتية التي تصدر في القاهرة *

وأعتقد أنك غير مصيب عندما تهم الشعراء جميعا بالسطحية والتفاهة ، لأن الشواهد الكثيرة التي تطالعنا يوميا في المجلات الأدبية تدل دلالة واضحة على أن الشعر يخطو خطوات حسنة في طريق التطور . ولئن كان الأستاذ ميخائيل نعيمة قد نقد الشعراء منذ ثلاثين عاما واصلح نقده لذلك الزمن ، فانه لا يصلح لزماننا هذا بعد أن اتصل الشعراء بالآداب الغربية ، واغترفوا من ينابيع الشعر العالمي ، ورجعوا إلى قرآنهم وآدابهم الزاهرة القديمة . والشاعر إذا وهب النبوغ والاستعداد لنظم الشعر وأكثر من قراءة الآداب وحفظها - قديمها وحديثها - لا بد وأن يكتب في سجل الشعراء المجددين . وهناك قطع شعرية خالدة تنشرها مجلاتنا الأدبية الكبرى بين الفينة والأخرى ، وهي دليل ناطق على أن الشعر العربي الذي ينشده النقاد وتنشده أنت ، موجود عند بعض الشعراء النابغين .

أما النقطة الثالثة والأخيرة بخصوص الكاتب المثقف ، فهي نقطة حساسة لها قيمتها . فأنت تقول أن الشاب المثقف يجب أن يلم بلغتين أجنبيتين بالإضافة إلى لغته التي يكتب فيها ، ولقد جاريت في قولك هذا بعض النقاد في هذه الأيام . ولكن لا يغيب عنك إن

* راجع هذا الموضوع في فصل منشور في هذا الكتاب .

هؤلاء لم يشتطوا في رأيهم كما فعلت لأنك - عافاك الله - حملت حملة شعواء على الكتاب الذين لا يعرفون إلا لغة واحدة، رغم ابتداعهم فيما يكتبون، ومن الغريب أن تنعت هؤلاء بالرجعية والضحالة الأدبية وإن أخذنا برأيك أصبح أكثر كتابنا غير أدباء بالمعنى الصحيح، وهذا رأى تكذبه الحقائق الناصعة لأن كثيرا من الكتاب لم يعرفوا إلا لغة واحدة ولكنهم أبدعوا فيما كتبوا، وكان لهم أثر كبير في دعم الحركة الأدبية، والنهوض بالكتاب العربي. وأكثر كتابنا العصريين يعرفون لغة أجنبية واحدة وقليلون منهم يعرفون لغتين فأكثر.

إنني معك بأن الشباب الأديب يجب أن يلم بلغة أجنبية واحدة على الأقل لكي يستطيع متابعة الإنتاج العالمي لأن أكثر الكتب العالمية لم تترجم إلى اللغة العربية، وهذا راجع إلى تقصير شبابنا الجامعي، لأن الشباب الجامعي الذي يتخرج في الجامعة ويكون من الذين وهبوا الطموح ورزقوا الذوق الأدبي، ينكب على التأليف قبل أن تكتمل لديه الاداة الكافية، ومن ثم يحىء إنتاجه غير ناضج ولا مركز، ولو أن هذا الشباب الطموح وغيره، تفرغوا للترجمة بدل التأليف لكان إنتاجهم ناضجا، وكان تأثيرهم في خدمة الأدب واضحا. أقول إنني معك بأن الشباب المثقف يجب أن يلم بلغة أجنبية

أخرى لكي يطلع على الإنتاج العالمى ، ولكن إذا كان الشاب لم يحالفه الحظ فى تعلم لغة أخرى ، وكان مطالعا على آداب لغته اطلاعا عميقا واتصل بالمعارف الحديثة اتصالا وثيقا وكان قد أوتي ، ملكة خالقة وقريحة سخية كما يقول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ، فإنه يعتبر حينذاك أدبيا بمعنى الكلمة . ويجب أن أذكر هنا أن ليس كل شاب ألم بلغتين أو أكثر واستطاع أن يكتب ويترجم عدد من الأدباء ، لأن هناك شيئا اسمه الإبداع لا يوهب إلا لمن تتوافر فيه شروط النبوغ وهى كثيرة تجل عن الحصر والإحصاء .

الأفلام السينمائية

هذه الكلمة عن الأفلام السينمائية التي تدخل الكويت يومياً بدون رقيب أو حسيب . ولعل الدهشة قد لازمت القارئ لعله أن الكويت ليس فيها دار للسينما * فكيف تدخل إذن الأفلام السينمائية ؟ نعم إن الكويت ليس فيها دار للسينما ، كما هي الحال في البلاد المجاورة . ولكن فيها مئات الدور التي تعرض الأفلام المنحطة ، إذ أن الثروة التي خص بها الله هذه البقعة من الأرض جعلت كل موسم يجلب من الخارج عشرات الأفلام ، وأصبح كل بيت من البيوتات الكبيرة دار للسينما ، والأفلام التي ترد إلى الكويت أكثرها من مصر ، والأفلام المصرية إذا كانت تنتقد في مصر ، وهي أفلام استوحيت من البيئة المصرية وأشخاصها مصريون وحوادثها مصرية ، أقول إذا كانت تقابل في مصر بكثير من السخط لخلاعتها واستهتارها وبعدها عن الوقائع فكيف بها في الكويت ؟

* كتبت هذه الكلمة قبل أن تفتح دور السينما العامة في الكويت ، وبهذه المناسبة أكرر هنا وجوب فرض رقابة صارمة على ما تعرضه هذه الدور ، لأن هذه الدور العامة خطرها على الأخلاق شديد ، والواجب أن ينفحص كل فيلم فحصاً جيداً قبل عرضه وأن تبتز المناظر المهيجة لشي الغرائز . ولا يخفى على القارئ اللبيب أن انتشار الاجرام في الخارج وحوادث السطو والسرقة والقتل وغيرها من الأمور الخلوة ، تسببها تلك الأفلام السينمائية الشاذة ، فإن أردنا تجنب مثل تلك الجرائم التي تجرى من حولنا فما علينا إلا أن نشدد النكير على أفلام الدعارة والاجرام سواء جاءتها من الشرق أو من الغرب .

هذه الأفلام يجب أن ترأى بكل دقة لأن البيوت التي تعرض فيها لا بد أن يكون فيها بنات إلى جانب البنين ، فإذا تخيل المسئولون مدى الأثر السيء الذي تطبعه هذه الأفلام في نفوس الشباب من الجنسين اتضح لديهم أن هذه الأفلام تسير بالنشء إلى هاوية سحيقة . وقد أعجبتني كلمة قيمة في هذا الموضوع للأستاذ محمد أحمد الغمراوي وقد كتب هذه الكلمة في مجلة الرسالة بعنوان « البيئة الإسلامية » عام ١٩٣٨ يوم أن كان الخطر في مهده والأفلام لم تبلغ هذا المستوى من الانحطاط والتأخر . قال الأستاذ الغمراوي « فالسينما أكثر أفلامها مصنوعة في الغرب ، وأقلها مصنوعة في الشرق ، ومع أن هذا الأقل مصنوع في مصر التي تطمع أن تنزع الأقطار الإسلامية إلى الخير والعزة والمجد ، فانه وذلك أكثر المصنوع في الغرب سواء في مجافاته لما يليق ، بل قد يبذ الشرق الغرب في الإفراط والتفريط . لا يكاد الوالد الحريص يجد بين جميع ما يعرض في مصر من أفلام ما يمكن أن يروح عن أولاده بأخذهم إليه من غير أن يعرضهم بذلك إلى تلويث الذهن . وتدريس الخاطر . بل لقد أصبحت السينما وخصوصا ما تخرجه مصر من أفلامها خطرا حقيقيا على الأخلاق في هذا القطر وما يتأسى به من الأقطار . »

وبعد فالأفلام السينمائية وجدت لتكون وسيلة فعالة لنشر العلم

والعرفان ودعوة صريحة لئتمسك بأهداب الفضيلة فان وجدت مثل
هذه الأفلام فأنعم بها وإلا فيجب أن تسارع السلطات المختصة
بوقف هذا السيل من الأفلام وتشديد الرقابة على كل فيلم يصل إلى
البلاد.

ضرورة التشجيع الأدبي

في الكويت اليوم كتاب تتردد أسماءهم في الأندية والمجتمعات الأدبية ، وهم الذين يوجهون الحياة الأدبية . ولكن هل اتخذ هؤلاء العدة لمواصلة الجهاد ؟ وهل لديهم الامكانيات الأدبية لمواكب النهضة الحديثة في البلاد ومسيرة نظائرها في البلاد العربية الأخرى ؟

هذا سؤال يحول في الأذهان ويتردد على الألسنة ، ولا يحتاج إلا إلى درس وبحث بعد أن اختمر مدة مديدة في الأذهان .

وما لا شك فيه أن الكاتب الأديب الذي يطمح في حياة أدبية ورجبة الجوانب يجب أن يزود نفسه باطلاع ممتاز يكون عدته وسلاحه في خوض الميدان الأدبي ، ويجب أن تكون القراءة هوايته الأولى ويخصص لها عدة ساعات في اليوم . وأقصد هنا القراءة المركزة لا القراءة السطحية التي يرمى من ورائها إلى إزجاء الفراغ والترفيه عن النفس بعد واجبات العمل .

والقراءة المركزة هذه لا يقوى عليها إلا الطموح ، بفضلها على جميع وسائل اللهو ، وتكون أستاذها الأول في فهم الحياة وأسرارها . والقارئ المدمن هذا لا بد له من اليأس والانطواء بعد أن تتشعب أمامه سبل الحياة وتعترض طريقه متاعب الأيام . فالتشجيع الأدبي

إذن من ضرورات النهضة الحديثة ، وبدون هذا التشجيع لا يمكن أن تنمو الحركة الثقافية أبدا .

فما هو هذا التشجيع ؟

هذا التشجيع يدعو أولا لدراسة الأدب العربي القديم دراسة عميقة يخرج منها بفائدة عظيمة . وبما يدعو إلى الأسف أن أكثر الكتاب الذين يعول عليهم اليوم لم يدرسوا هذا النوع من الأدب بالصورة المطلوبة ، وذلك لانتشار الأدب الخفيف انتشاراً طغى على كل نوع من أنواع الأدب القومي . والأدب القديم كان يدرسه المهتمون بشؤون الأدب منذ ربع قرن عندما كانت الحياة الأدبية مزهرة آنذاك . ثم ركبت الحياة الأدبية فترة من الزمن حتى انبعث من جديد في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبدلاً من أن يهتم الشباب اليوم بالآداب العربية القديمة الزاهرة ، ينصرفون إلى قراءة خفيفة تدعو إلى الكسل والركود فالتشجيع إذن ضروري في هذه الحالة ، وهو أن تتكون لجنة أدبية من قبل المعارف ومهمتها الأولى تنظيم مسابقات أدبية . على أن تخصص لهذه المسابقات مكافآت مالية مغرية ، وهذه المسابقات تدعو إلى درس الأدب العربي القديم وكتابة مقالات وأبحاث عنه ، فمثلاً تنظم مسابقة لكتابة أحسن بحث عن كتاب البيان والتبيين وأثره في الأدب ، على أن لا يقل البحث عن

خمسين صفحة مثلاً . وتتجدد هذه المسابقات حسب نشاط الكتاب وقدرتهم على البحث والدرس والكتابة . فعند ذلك نجعل شبابنا ، شباباً مثقفين يعتمد عليهم في البحث والاستقصاء ، وتربح البلاد كفاءتهم .

ويدعو هذا التشجيع أيضاً لدراسة الأدب الحديث ، وتنظم اللجنة مسابقة لكتابة بحوث ودراسات في الآداب العربية الحديثة ، ويطلب من المتسابقين كتابة أحسن بحث عن أحد أدباء العرب المعاصرين على أن يكون البحث في خمسين صفحة مثلاً . ويكافأ الفائز الأول بجائزة مالية تعوضه ما فقد من طاقة في البحث والاستقصاء . ويكافأ كذلك من اشترك في المسابقات ، كل حسب كفاءته .

ومن واجب هذه اللجنة تشجيع القصة الكويتية ، وما أكثر الحوادث التي تصلح أن تكون موضوعاً لقصص كويتية طويلة : فتاريخ الكويت يزخر بالمفاجئات والبطولات . والعادات والتقاليد الموروثة خير موضوع للكتابة والتحليل والعرض .

وإلى جانب هذه المسابقات تعتد مسابقات أخرى كالترجمة من اللغات الأجنبية — خاصة وقد أخذ عدد المترجمين يتزايد سنوياً ونظم القصائد الشعرية وكتابة المقالات والقصص القصيرة .

الشاعر منجب

شاعرنا هذا من الأدباء المنسيين الذين صدحوا فترة من الزمن ،
وأسمعوا الناس قطعاً خالدة من أشعارهم الجزلة ، فكان جزاؤهم أن
أسدل عليهم ستار قاتم من النسيان والجحود . ولد منجب بن محمد
المنجكي عام ١٠٠٥ هجرية في دمشق الشام وهو ينحدر من أسرة
عريقة كان لها مجد وسؤدد ونخار ، ثم دار الفلك دورته فهدم مجدها
وزهب بسؤددتها وحطم عروش نخارها ، وفي ذلك يقول منجب :

نشأت بمهدى رفيع الذرى وحولى الضباء وأسد الشرى

ونادمت كل سخي الوجود يطعم نيرانه الغنبرا

ووالدى الشهم فحل الرجال وجدى الأمير أمير الورى

وإن يمم الضيف أحياءنا بذلنا له الروح قبل القرى

ولكن أناخ علينا الزمان وخان عهداً لنا وافترى

نشأ في كنف والده يمرح في حلق النعيم ، ويرفل في بجموحة من

العيش ، ولكنه فكر طويلاً فلم يجد دنيا خيراً من دنيا الأدب ، ولا

ميداناً أرحب من ميدان العلم ، فانكب على مطالعة الأسفار التى

سهر على تأليفها وتصنيفها أعلام الأدب وجهابذة الفكر . وكلما

امتدت به الأيام زاد شوقاً وهياماً فى درس العلوم والآداب ، وقد

ساعده على النجاح فى هذا المضمار جملة من العلماء الأجلاء الذين وجهوه توجيهها صحيحا وذلّلوا أمامه الصعاب نخص بالذكر منهم الشيخ الفاضل عبد الرحمن العبادى * وكان لذكائه الفطرى الخارق وحافظته القوية أكبر الفضل فى تقدمه وازدهار ملكته الشعرية . وكان محبوبا من الناس لتواضعه وحسن أخلاقه . وقد وصفه البديعى بقوله :

« نجيب ورث المفاخر كابراً عن كابر ، وجمع بين فضيلة الأقلام والبواتر ، كما جمعت خلاله بين أهواء القلوب وهو أريب بكل مدح قمين ، وأديب له الفضل ترب والسماح قرين ، وحسيد من قوم تهدى لهم تحف الأشعار وتزف لديهم أبكار الأفكار ، وله من الكلام ما ينبوب عن المدام ، وبالجملة فهو مذكور بكل لسان ومدوح لكل إنسان » ^(١) .

ومن كانت هذه أخلاقه وصفاته لا يقول الشعر للاستعطاء كما كان يفعل بعض معاصريه من الشعراء ، بل كان ينظم الشعر كلما وجد فى نفسه ميلا لذلك ، ولذا فأننا نجد شعره صادراً من صميم فؤاده ، ولا نرى فيه آثار التكلف . وشعره رقيق جداً يطرب النفوس ويلعب بأوتار القلوب فمن شعره الرقيق :

هل وقفة بين الطلول تشفى الفؤاد من الغليل
آه على زمن الشبا ب وظله ذاك الظليل
سافرت بالآمال فيه فلم يكن إلا وصولي
وأدرت طرفي في بدو ر الحسن من قبل الأفول
لم يغن درع شهامي من طرف فتان كحيل
حولي من الآساد آ ساد الشرى لا أسد غيل
يتسارعون إلى العلى بالمرهفات على الخيول
طرفي هو المجد الأثيل إذا عزمت على الرحيل
تباً لدهر أحوج الحـ ر العزيز إلى الذليل
ما كان ماء وجوهنا يبدى ابتذالا للسيول
فراه في هذه الأبيات يتحرق شوقا الى أيام الهوى والشباب ،
والتي قضائها في لهُو برىء يستمتع بما خلق الله من جمال ثم يصف
عشيرته وقومه وما كان لهم من صولة وسلاطان وأخيرا يعاتب الدهر
الذى يحوج الحر العزيز الى الأذلاء الذين كانوا بالأمس يتمرغون عند
أقدامه . ومن أشعاره الرقيقة أيضا :

وافى الربيع فما عليك بعار خلع العذار ولا ارتشاف عقار
صهبا ليس يجوز عندي مزجها الا بريقة شادن معطار

تدع الدجى صباحا إذا هي أبرزت فكأنها اعتصرت من الأنوار
قم هاتها حيث الهزار قد اغتدى في الأيك منعكفا على التهدار
واهض لنغتم الشبيبة قبل أن يرمى المشيب الصفو بالأكدار
وللأحباب والخلان منزلة عظمى في نفس شاعرنا ولا يطيب له
العيش إلا بمساجلتهم ومبادلتهم الأحاديث التي تثلج النفوس ، وتسبي
العقول ، فابنة الحان والنأي الرخيم وهينمة الرياح وترسل الأطييار ،
كل هذه ليست ذات قيمة إذا لم تكن الأحبة تطارحه وتساجله في
سكون الليل عندما ينشر ابن السماء أشعته الذهبية على السكون وفي
ذلك يقول :

هيهات ما النأي الرخيم ونشوة الـ خمر القديم ونغمة الأوتار
وحنين هينمة الرياح عشية وترسل الأطييار في الأسفار
عندى بأحسن من مساجلة الأحبة بالصباية في سنى الأعمار
وله أبيات مؤثرة في رثاء ولده « أحمد » فقد اخترته المنية وهو
في ربيع العمر ، وريق الشباب . فلا عجب إن تززع قلب والده ووهي
جلده وخارت عزيمته ، وخاصة إذا كان الولد في ميعة الصبا : قال
رحمه الله :

أحمد ابني تلهب القلب لهفا فأعزني دمعا لما ليس يطفى
من يعاف المدام من غير مزج شرب الهم فيك والحزن صرفا

لا ألفت الحياة بعدك إن كان فؤادي يرضى بغيرك إلفا
كنت لو قلت مرة آه أكثر ت وإني أقولها اليوم ألفا
ويقول فيه وهو من بديع القول :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن اللحد منازل الأقدار
لهفي لنور قد جنته يد الردى من وجنتيك وطرفك السحار
ليت اقتدتك عيوننا وقلوبنا وغدت مكان التراب والأحجار
وله أيضا أبيات في الزهد والتصوف منها :

كل شيء هو من عندك يا رب بوعدك
ولك الأمر كما شئت وتختار لعبدك
إن من ضل بتوفيقك يهدي أو برشدك
خاب من قوبل من باب عطاياك بطردك
سبح الغيث بنعمائك والرعـد بحمدك
ويقول أيضا :

سيدي سيدي وحقك ما كنت بشيء من الوري لولا
أنت أنقذتني من الضلالة والشر لك بنور أضائي من هداكا
وتوفي منجك في شهر جمادى الآخر سنة ١٠٨٠ هجرية عن
عمر يناهز الخامسة والسبعين بعد أن خلف أشعارا كثيرة مبعثرة هنا
وهناك يتناقلها السمار في مجالسهم ونواديهم ، حتى قبض الله لها —

بعد موت الشاعر بوقت طويل — الأديب الفاضل « فضل الله بن محب
الله بن محب الدين » فجمعها من الأسفار المختلفة والمجاميع المتفرقة ودونها
في ديوان يقع في مائة وخمسين صفحة، يحوى أكثر من ثلاثة آلاف بيت.

أُشْرَحُ الْكُورَانِي أُمُّ الْعَكْبَرِي *

استمتعت بمطالعة ديوان أبي الطيب المتنبي الذي صححه وقارن
نسخه وجمع تعليقاته الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام ،
وقد بذل الدكتور مجهودا جبارا في أثناء تصحيحه للديوان كما جاء في
المقدمة : « مهما يظن القارئ فما أحسبه مدركا العناية الذي احتملته في
تصحيح هذا الديوان والاطلاع على نسخه في مصر والعراق وتركيا
وباريس ، ثم مراجعة المتون والشروح التي راجعتها في أثناء الطبع ...
الخ ... » فيجب والحالة هذه أن نشكر العلامة الفاضل على ما بذل
من جهد ، وما حمل نفسه عليه من صبر ...

وقد ذكر الدكتور نسخ الديوان التي رجع إليها في أثناء تعليقاته
وتصحيحاته إلى أن قال : « ثم شرحا الواحدى والعكبرى متداولان
مطبوعان فليس في حاجة إلى التعريف » .

حينما مررت على هذه النبذة تذكرت أنني قرأت ، مقالا قويا
تحت عنوان « أشرح الكوراني الأربلي أم العكبرى الأزجي ؟ » في
مجلة الثقافة الغراء للدكتور مصطفى جواد ، نفى فيه نسبة الشرح للعكبرى

* نشرت هذه الكلمة في مجلة الكتاب المصرية عام ١٩٤٧ تثبتها هنا رغبة في معرفة
المراح الحقيقي لديوان المتنبي .

وذهب إلى أن الشارح شخص آخر هو عبد الله الكوراني الأربلي المتوفى سنة ٦٥٦ هجرية ، وفي نفس الوقت لم يقطع قطعاً بأن الشارح هو الكوراني بل ذكر ثلاثة أعلام من أعلام الأدب العربي يستحقون أن ينسب هذا الشرح إليهم . الأول : ابن الخباز شمس الدين أبو عبد الله أحمد بن الحسن أحمد الموصلـي النحوي المتوفى سنة ٦٣٩ هجرية ، ثم عدل عن نسبة هذا الشرح إليه لأنه كان ضريراً والشارح الحقيقي كان بصيراً .

والثاني : اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ذو الكنى الأربع : أبو طاهر وأبو الفدا وأبو المحامد وشهاب الدين ، المتوفى سنة ٦٥٣ هجرية . الثالث : الكوراني الأربلي عبد الله الحسين بن إبراهيم ، وهو الأرجح .

وبما لا ريب فيه أن الدكتور عبد الوهاب عزام لم يجزم بنسبة الشرح إلى العكبري إلا ولديه براهين قاطعة وأدلة ساطعة تدل على أن الشرح للعكبري وليس لشخص آخر .

فنرجو من أستاذنا الكبير أن لا يرضن علينا — معشر القراء — باظهار براهينه وأدله ، وأن يتفضل بنشرها على صفحات مجلة « الكتاب » الغراء خدمة للأدب العربي الذي كرس جل حياته في خدمته والغوص في أغواره .

مِنْ وَجْهِ الْهَجْرَةِ

هل هلال السنة الجديدة * وفتح الزمن صفحة أخرى من صفحات التاريخ الهجرى بينما العالم من أقصاه إلى أقصاه يتلظى فى أتون مستعر لا يقر له قرار . فالثورات قائمة على أشدها ، والحروب محترمة الأوار فى شتى الديار ، كأن إنسان القرن العشرين قطع على نفسه أن تكون أيامه جميعها ممزوجة بالدماء والدموع .

هل هلال السنة الجديدة والقافلة البشرية تأهتة تسير على غير هدى ، لا تدرى ما هو مصيرها ، وماذا خبأته الأقدار لها بين طياتها : أبؤس و شقاء ؟ أم نعيم وحرية ورخاء ؟ ولكن أين النعيم والحرية والاخاء وقد تلاشت العدالة — وأأسفاه — بين الناس وسادت الأطماع وأصبح القوى يهدد الضعيف كلها سنحت له الفرص التى تساعده على أشباع رغباته .

هل هلال السنة الجديدة فى الوقت الذى غدت فيه الانسانية مهيشة الجناح تتخبط فى ظلمات دونها ظلمات الجاهلية الأولى ، فلا قائد يأخذ بيدها الى ساحل السلام ، ولا مرشد ينقذها من براثن الضلال ويهديها سواء السبيل ، وأصبح كل فرد من أفراد المجموعة الانسانية يترقب

العذاب من بين يديه ومن خلفه .

هل هلال السنة الجديدة وأخذ يرمق القطيع المشرّد في الشرق والغرب ، ليرى آلاف الأسر قد فنيت وآلاف أخرى يلاحقها شبح الجوع والمرض ، وتمتد إليها يد المنون بدون رحمة أو شفقة .

هل هلال السنة الجديدة والبلاد العربية وغيرها من البلاد الإسلامية منقسمة على نفسها متباعدة عن بعضها ، ممزقة الأوصال ، منخورة الكيان ، على كل بقعة دليك ، وفوق كل كرسي أمير ، ولت الأمر يقف عند هذا الحد ، بل أصبح كل قطر ينزع الآخر ويسعى لإخماد ذكره وتشويه سمعته في العالم .

هل هلال السنة الجديدة ، ليشهدنا نحن المسلمين وقد بعدت الشقة بيننا وبين ديننا كأنا غرباء عن هذا الدين الحنيف لا تربطنا به أية رابطة وقد نسينا أو تناسينا أن راية أجدادنا لم ترفرف إلا بتعاليم الإسلام وأنهم لم يسودوا العالم إلا بعد أن تغلغل الإيمان إلى أعماق قلوبهم ، وخالط كل خلجة من خلجات نفوسهم ، واستطاعوا في سنوات معدودات أن يبرهنوا للعالم بأسره أنهم تلاميذ محمد . أجل تلاميذ محمد الزعيم العظيم الذي هاجر في مثل هذا اليوم منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً هاجر مغلوباً على أمره ولكنه هاجر وفي يمينه نصر لم تعرفه الأجيال ولن تعرفه . هاجر مع نخبة من صحبه ومناصريه ، ولم تمض مدة حتى

انبعث صوت النبوة من أعماق الجزيرة العربية ليلقى على العالم
أضواء منيرة لم يألّفها الناس من قبل ، وما هي الا سنوات حتى بدأت لامذة
الرسول العظيم ، ينشرون الحرية والإخاء في مختلف أنحاء العالم .
أخيرا هل هلال السنة الجديدة ، وفتح الزمن صفحة أخرى من
صفحات التاريخ الهجرى ليفهم الناس هنا وهناك في الشرق والغرب
أنهم فى أمس الحاجة إلى رجل عظيم كـ محمد يوحد الصفوف ، ويجمع
القلوب ويساند الضعيف . رجل كـ محمد لا يعرف الأطماع ولا تعرفه
الأطماع ، يسير بالقافلة البشرية المشردة الى عالم جديد غير هذا العالم
المضطرب الذى نعرفه الآن ، عالم تسوده الحرية ويعمه الخير والفلاح
وحينئذ فقط تصل السفينة التائهة الى ساحل السلام .

الجاحظ في نوادره

الجاحظ أديب عربي كبير ولد في البصرة عام ٧٧٥ م وكان في صدر شبابه شخصا عاديا يكسب عيشه من عرق جبينه وذاق الأمرين في سبيل الحصول على لقمة العيش . وكان كما يذكر التاريخ قبيح الشكل ، وقبحه هذا جعله يسهر الليالي والأيام في الدرس والبحث ليزر في المجتمع ، فكان له ما أراد وبلغ سماء لا يطار لها على جناح كما يقول أحمد شوقي ، وهذا القبح جعل أحد الشعراء يتندر فيقول :

لو يمسح الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

ويقول هو « أتتني امرأة وأنا على باب دارى فقالت لى إليك حاجة وأريد أن تمشى معى فقمتم معها إلى أن أتت بى إلى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها فقال : إنها أتت إلى بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان . قلت لها : ياستى ما رأيت الشيطان فأنت بك وقالت ما سمعت » ؟ !

كان الجاحظ عبقرى ، صور عصره وأهله تصويرا دقيقا ، فتارة يسخر وتارة يتألم وتارة يفرح ويمزح وهو بين هذا وذاك لا يرجو إلا إظهار الحقائق التى يشوهها الناس ، ونوادره ما هى إلا أقاصيص قصيرة يعرف فيها الناريء العصر الذى عاش فيه الجاحظ كأنه

يعيش فيه . وهو أول أديب غاص في أغوار المجتمع واحتك بجميع الطبقات عاش مع الفقراء في أول عهده فأجاد تصوير حياتهم في مؤلفاته وعاش مع الأغنياء والملوك بعد أن رفعه علمه إلى أعلى الدرجات فعرف عالمهم الراقى وبرجهم العاجى ، وخالط البخلاء فألف كتابا كان له تأثير فعال في الأوساط العلمية ولا يزال وخالط القضاة والمعلمين والموظفين وغيرهم ، ولكل من هؤلاء نصيب من كتاباته .

وقد تعرض الجاحظ للخرافات التي كانت سائدة في عصره ، فمن ذلك هذه النادرة :

« وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش ، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عض الصبي لم ينزع سنه من لحمه حتى يسمع نهيق حمار وحشى . وزعم لى بعض العلماء ممن قد روى الكتب ، أن حية يقال لها الدساس تلد ولا تبيض ، وأن انثى النور لم تلد بمراقط إلا ومعه أفعى . والأعراب تزعم أن الحكمة تبقى في الأرض ، فتمطر مطرة صيفية ، فيستحيل بعضها أفاعى » .

ترى لو بعث الجاحظ فرأى خرافات هذا الزمان فماذا كان يقول ؟ وكان الجاحظ طموحا فهو بعد أن كان عاملا بسيطاً يأكل اللقمة ممزوجة بعرقه ودمه أصبح عالما عبقريا يحترمه الوزراء ويحمله الخلفاء

فاذا به يطمح إلى أكثر من ذلك . كان يتمنى أن يكون هو الخليفة .
وقد قسا الجاحظ على المعلمين عندما خصهم ببعض نوادره ومن
أطرفها هذه النادرة قال « مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة
وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت : ما هذه ؟ قال
عندى صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لى . فأضربه
بالعصا القصيرة فيتأخر ، فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي ،
فأضع الكرة في الصولجان فأضربه فاشجه فيقوم إلى الصغار كلهم
بالألواح ، فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل
وأنفخ في البوق ، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إلى
ويخلصونني منهم » .

ولست أعرف لم خص الجاحظ المعلمين بهذه النوادر ، بيد أن
الأستاذ جميل جبر الذي قدّم نوادر الجاحظ ، وأخرجها منذ شهرين
يقول : « إن الجاحظ يقصد معلمى الصبيان في الكتابات أما المتخصصون
والأستاذة فلا يقصدهم لأنه واحد منهم » وهذا تعليل لطيف ، بيد
أن الجاحظ قد تناول في نوادره الموظفين أيضا فهناك نادرة تقول :
« دخل الجاحظ يوما ديوان المكاتبات فرأى قوما قد صقلوا
ثيابهم ، وصففوا عمائمهم ، ووشوا طرزهم ، فقال : هؤلاء كما قال
الله تعالى (فأما الزبد فيذهب جفاء) ظواهر نظيفة وبواطن

سخيفة (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .
والغريب أن هذا العبقري الذي ألف أنفس الكتب كان مصابا
بالفالج . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة عزمته وصبره على
جور الأيام إذ أن هذا المرض يبعث في المرء اليأس ، ولكن الجاحظ
لم يقلق عندما أصيب بهذا المرض بل زاده المرض طموحا وقوة .
كان الجاحظ يعشق الكتب ويرعاها ويحبها كما يحب المرء أبناءه
ولكنها كانت سبب موته كما تقول بعض الروايات إذ سقطت عليه
وكانت مرصصة بعضها فوق بعض ، حينما كان مسترسلا في القراءة ،
فقضت عليه وكان عمره قد ناهز التسعين وقد كان لموته صدى مؤلم
في الأوساط العلمية والأدبية ، وقد حزن عليه الخليفة العباسي وكان
ذلك عام ٨٦٨ م بعد أن ترك ثروة زاخرة من العلم والأدب ، فكتبه :
البيان والتبيين ، والحیوان ، والبخلاء وغيرها يغترف منها طلاب
المعرفة حتى يومنا هذا وستبقى خالدة على الأيام ..

كتاب القصة *

قرأت في الأديب الغراء كلمة تحت عنوان « حول قصة عودة الغائب وكتاب القصة العربية » للأستاذ نسيب صباغ ضمنها بعض آرائه في القصة العربية ، أصاب في بعضها ، وخانه التوفيق في البعض الآخر . أخذ الكاتب على كتاب القصة ، إكثارهم من القصص المحزنة ، وإني أرى أنهم معذورون في ذلك . إذ أن بيئتنا العربية في الوقت الحاضر مليئة بالمأسى والفواجع ، فهم يصورون حياتنا الاجتماعية بأجلى مظاهرها . والقصة إن لم تنته بفجعية أو مفاجأة لا يحفل بها أكثر القراء . خذ مثلاً كتب المنفلوطي رحمه الله ، ورواها العظيم في كافة أنحاء العالم العربي ، حتى أن أكثرها طبع عدة طبعات . فيم استحققت الخلود يا ترى ؟ والجواب أن المنفلوطي نظر إلى الحياة ، وإذا المنعمون قليلون جداً ، أما بقية الطبقات فتئن من الجوع والحرمان ، وترسف في أغلال الجهل والمرض والفقر والاستعباد ، فساء ما رأى . واقض مضجعه عويل النساء ، وأنين الشيوخ وبكاء الأطفال . فتناول قلبه ليحارب الظلم والجشع والاستعمار . وأخذ ينشر على الناس قطعاً خالدة ، استبشروا بها ووجدوها بلسم شافياً

لجراح قلوبهم . ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب ، ولا مكتبة من مكباتهم من كتب المنفلوطى . وأكثر كتاباته مترجمة عن أدب الغرب ، مما يدل على أن الغربيين عنوا عناية فائقة ، بهذا اللون من الأدب . فهذه قصة « تحت ظلال الزيزفون » نجدها تنهى بفاجعة مؤلمة ، سمت بالقصة إلى ذروة النجاح . ولو كانت منتهية بزواج استيفن من ماجدولين لكان لها مع القراء شأن آخر ولما لاقت كل هذا الرواج والاستحسان . وكذلك نظيرتها « الفضيلة » التى أبى كاتبها إلا أن يفجع « بولس » بحبيبته « فرجينى » ثم فناء الأسرة بأكملها بعد ذلك . ولا جرم أنها لو ختمت بغير هذه النهاية ، لما تمتعت بهذه الشهرة ، التى تتمتع بها الآن . وقس على هاتين القصتين بقية القصص القصيرة التى كتبها المنفلوطى أو ترجمها عن الأدب الغربى .

أما قول الأستاذ « إن جميع الشعوب فى العالم الآن — ولا نستثنى الشعب اللبنانى — قد خرجوا من الحرب وهم أكثر ما يكونون كرها للمأسى . وهم يريدون ولو وقتيا أن يتخلصوا من همومهم ومن خشونة سنواتهم الماضية بدليل أن نسبة كبيرة منهم تطلب اللهو والمرح بأية حالة أو مكان .. الخ .. » فهو قول لنا فيه كلمة ، إذ أن من الغرب جدا أن يصدر من الأستاذ هذا رأى ، فأى حرب هذه التى خرج منها العالم وهل يعتقد أحد منا أننا فى سلام الآن ؟ إذن ما هذه

الثورات القائمة؟ وما هذه المعارك المحترمة التي تدور رحاها في أكثر
بقاع المعمورة. والتي اصطلى الناس نارها وأذاها؟ وما هذه السيول
من الدماء التي تراق على الغبراء؟ وما هذا التكالب على أكل الضعيف؟
إن آهات المنكوبين، وزفرات البائسين، وأنين الأرامل،
وصراخ الأطفال.. كل هذه تشعرنا بأن الحرب لا زالت قائمة في
العالم المضطرب. لقد كانت الحرب قائمة في أوروبا سابقا أما الآن فهي
موجودة في كل صقع من الأصقاع، وهل بعد تشريد مئات الألوف
من إخواننا الفلسطينيين، وغيرهم من المنكوبين يعتقد أننا في سلم..
ورخاء؟ وهل من الإنصاف أن نطالب كتاب القصة—والحالة هذه—
أن ينشروا علينا قصصا في التسلية واللهو؟ إن القصصى المخلص هو
ذلك الذى يغوص فى أغوار المجتمع وينشر علينا حقيقة مجتمعنا من
بؤس وسعادة وأفراح وأتراح، ونحن لا ننكر أن إلى جانب شقائنا
وبؤسنا أفراحا وسعادة، ولكن ما هى نسبة تلك لهذه؟ أما إذا كان
فيها من تسره الرواية المسلية، فلينشدها فى عشرات الصحف المسلية،
المنتشرة هنا وهناك. والقصة بعدُ جزء من الأدب إن لم يكن (معجونا
بدم القلب) فما هى قيمته؟

وأما قول الأستاذ إن على القاص أن ينهى قصته بحادثة بسيطة،
فهذا شيء نود أن نقف عنده قليلا ونوليه شيئا من الأهمية فى كلامنا

هذا. إن المفاجأة تجعل القارئ يحس أنه قرأ شيئاً ذا بال وربما عاود القراءة مثنى وثلاث ورباع ، حسب قوة المفاجأة ، ووقعها في نفسه ، وأذكر أنني قرأت منذ سنوات قصة مترجمة عن الإنجليزية بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار في مجلة الرسالة بعنوان «من أثر الوعيد» وقد هممت أكثر من مرة بالقاء المجلة من يدي قبل انتهائها ، بيد أنني ما كدت أصل إلى نهايتها الغربية حتى تبدل رأيي فيها . وأعدت قراءتها بعد ذلك مرارا عديدة والقراء الكرام يذكرون قصة «اليد المقطوعة» وقصة «مطاردة» اللتين ترجمهما الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن في مجلة الرسالة منذ أربع سنوات ، وما تركتاه من أثر في النفوس ، لقوة المفاجأة فيهما ، وهناك قصص كثيرة من هذا النوع كتبت في الأدب الغراء ، لاقت استحسان جماهير القراء في سائر البلاد العربية . إذن فالمفاجأة عنصر هام في القصة كما هو واضح للجميع .

الحرب والسلام

للحرب في المجتمعات العالمية صدى سيء وفزع ملحوظ ، اذ من ذا الذي يسره أن تشيع الحرب بين الناس فيذهب ضحيتها الألوف والملايين ، وتخرّب مدن بكاملها وتشتت شعوب وأمم كانت تعيش في رغد من العيش ، رافلة في ثياب الأمن والطمأنينة ؟؟؟

والحرب لا تكاد تضع أوزارها حتى تنتشر المجاعات في المجتمعات ، وتتفشى الأمراض المعدية بين الناس ويسود قلق يزهد أرواح العباد ويحصدها حصدا ، ويكون تأثيره في الناس أشد من تأثير الحرب نفسها . ولماذا تشعل الحروب ؟ هل تشعل لنصرة الضعيف ؟ هل تقوم لخير البشر ؟ هل تنشب لرد حقوق المستضعفين من الناس كالأولاد ؟ لا شباع المطامع ، وحب السيطرة والرغبة في التوسع . ومن يدرس أسباب قيام الحربين العالميتين في القرن العشرين يجد الدليل الساطع والحجة الواضحة .

فالعالم اذن يعاني ما يعانيه من ويلات ونكبات نتيجة لسياسة حمقاء يقوم بتمثيل أدوارها شرذمة من سفاحي الشعوب الذين يحدون العالم يتردى في حرب ضروس تأكل الحرث والنسل ، وتأتي على الأخضر واليابس ، وتحصد أرواح الشباب والشيوخ على السواء .

ولكن الله الذى خلق الانسان ليعيش حراً وينعم بالسلام، يرسل بين
الفينة والأخرى أناسا يسعون لبث روح الاخاء بين الأمم والشعوب
ونشر السلام فى ربوع الأرض . ولولا عناية الله لذهب العالم نتيجة
لطيح الساسة بعدة قنابل من تلك القنابل المدمرة التى اخترعت فى
أعقاب الحرب العالمية الثانية وكان لها أسوء الأثر فى نفوس الشرقيين
خاصة والعالم عامة .

والسلام الذى يدعو الناس اليه فى هذه الأيام يجب أن يكون
خالياً من الأغراض والمطامع ، لكى تصل البشرية التائهة الى ساحل
السلام ، بعد أن ظلت عواصف السياسة الخرقاء تتقاذفها ذات اليمين
وذاة الشمال .

ومن بين الدعوات السارة التى تنبعث فى الناس اليوم لإقرار
السلام وإبعاد شبح الحرب هذه القصيدة الرائعة التى نظمها الشاعر
العراقى الشاب كاظم السماوى وقد كان لها تأثير حسن فى الأوساط
المهتمة بالسلام ، اذ ترجمت أولاً الى اللغة الروسية وبعد ذلك ترجمها
عن الروسية مكتب الترجمة فى مؤتمر الشعوب فى فينا الى اللغات الفرنسية
والانكليزية والاسبانية والالمانية .

يبدأ الشاعر بوصف الحرب وما يصحبها من الدماء والدموع
والنار ، وانصداع القلوب وتشريد النساء والأطفال . . . وهدم

البيوت . . . والشظايا التي تتطاير في الفضاء فتزهق الأرواح البريئة ...
والوحشة القاتلة في الخرائب ، بعد أن كانت عامرة بساكنيها . ثم
يصور المرأة وهي تنتظر عودة زوجها أو أخيها أو أبيها أو ابنها
من ميادين القتال فيقول :

وبكل درب قلب والهة تولول هل يعود ؟

أو لا يعود ؟ أخ وزوج ، أوحبيب ، والحشود .

من الجنود العائدين تمر في اثر الحشود .

تجر سيقان الهزال من القتال .

أو العيون المرمدات من الكلال .

وتطل ما بين الحشود .

ولهى تغمغم هل يعود .

ويزجر الصوت البعيد .

من الفناء عبر الوجود .

لا لن يعود ، ولن يعود .

فاذا علمت هذه المسكينة أن الذي تنتظره قد ابتلعه الميدان ،

لا تقوى حتى على العودة الى منزلها ، وهل تستطيع تحمل صياح

أطفالها في البيت ، ؟ فاسمعه كيف يصف هذا المشهد :

وتعود للبيت الكئيب ولا تعود .

لمن تعود لمن؟ وشط بها الشرود .

— بابا — وتهتز المهود .

وينجر الصوت البعيد .

من الفنا — لا لن يعود !!

ثم يصف حالة المتعطلين الذين لا يجدون الرغيف الذي يسد رمقهم
ولا الكساء الذي يستر أجسامهم ولا المأوى الذي يقيهم الحر
والبرد فيقول :

هم هؤلاء العاطلون على الرصيف .

الزاحفون الباحثون عن الرغيف .

ألقى بهم سفاكو شيكاغو ومرسيليا وقطاع الطريق .

من اللصوص ، من القراصنة الذئاب ، من الرقيق .

في الدردنيل ولندن الحقاء جلادى الشعوب .

الشاربين دماءهم والناجين المشعلين لظى الحروب .

ثم يصف حالة الشعوب الشرقية الضعيفة وما تعانيه من استبداد

الغرب الذى طغى وجار وأكثر فى بلاد الشرق الفساد ثم يتكلم عن

بلاد العرب فيقول :

وهنا على رمل الجزيرة حيث يكتحل العبيد

بالكاديلاك الخاطرات تقلقارونا جديداً .

وحوله المتمرغون على التراب .
العاصرون منى الحياة من السراب .
الناقمون على الهوان ، على العذاب .
هذى الأنايب الطويلة عبر صحراء العرب .
للمشعلين لظى الحروب ، الموقدين سنا اللهب .
من بشر كركوك ، ومن زيت الجنوب .
وحوله المتمرغون على التراب ..
سيشق للفجر القريب دجى يحجمها الذئاب .
من الطغاة من البرابرة المصوص ، وإن يعود .
للكاديلاك تقل قارونا جديد .
بل للجيع الكادحين
المجد والوطن السعيد .
وبعد ذلك يتفائل الشاعر بالسلام فيقول :
وغدا ستبتسم النجوم .
في الأفق من خلل الغيوم .
ويطل اشعاع جديد .
وغدا ستزدهر العصور .
مدى الحياة مدى الدهور .

وترف أجنحة السلام .

وتغور أشباح الظلام .

وهكذا يمضى فى ملحمة الانسانية الخالدة حتى النهاية ، ولا تنتهى
هذه الملحمة حتى تبعث فى قارئها روح الحق على دعاة الحرب وتهيب
بهم الى النضال من أجل السلم والحرية والاعتناق كما يقول
الدكتور جورج حنا فى مقدمته لهذه الملحمة .

زكى مبارك*

« لو شرب الصخر من رحيق الوجود بعض ما
شربت لتحول إلى أوتار وقلوب . فكيف أصمت
والدنيا كلها تتأرجح من حولي بأنفاس الأزهار
والرياحين ، ولى قلب يتشوف إلى أفنان الجمال تشوف
الشمس إلى أنداء الصباح » .

زكى مبارك

(١)

وأخيرا صممت القيثارة الخالدة التي غنت روائع الألحان .
وسكت القلب الكبير الذي كان يتشوف إلى أفنان الجمال ، وانكسر
اليراع الذي أقام الدنيا وأقعدھا ، وارتاح العقل الجبار الذي سما
بصاحبه إلى سما لا يطار لها على جناح . لقد مات زكى مبارك . ومات
بموته أديب أكسب اللغة العربية أروع حلال البيان ، وزود المكتبة
العربية بتحف غراء ستبقى خالدة على مر الأزمان ما دام للغة العربية
قراء ، وما دام في البلاد العربية منصفون .

إن زكى مبارك لم ينصف في حياته . أما كيف كان ذلك
فهو شيء ليس من شأننا ، ولكن الذي نعرفه أن نفس الرجل كانت
أكبر من جسمه بالآف المرات ، فشقي في الدنيا شقاء مرا . ويجد

* نشرت هذه المقالات في مجلات البعثة الكويتية والرائد الكويتية والعرفان اللبنانية .

القارىء صدى ذلك الشقاء فى كل ما كتبه ذلك الهزار الصريع .
وقديما قال المتنبي :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام
نال زكى مبارك الأجازات العلمية العظيمة بمجادة واستحقاق
بعد أن سهر السنوات الطوال فى غفوات الليل دون ملل أو أعياء ،
سهر فى القاهرة ، وسهر فى باريس وسهر فى بغداد . عكف على
الطروس ، وهو طالب علم ، بينما كان زملاؤه يعكفون فى المقاهى
والمنتديات . وغازل العلم والعرفان بينما غازل غيره الغيد الحسان . واتخذ
اليراع خلاً وفيما بينما اتخذ الآخرون الترد وغيرها من أدوات اللهو .
وكانت النتيجة أن نال الدكتوراه ثلاث مرات متتالية فى جامعة
السوربون ومن الجامعة المصرية .

ولكن هل استسلم للراحة والاستجمام بعد ذلك العمل المتواصل
والنصر المبين ؟ وغادر روض الأدب والفلسفة بعدما نال الدرجات
والشهادات ؟ إن كتب الفقيد تكفيننا الرد على هذا السؤال ، بل إن
رسالة الزيات الخالدة تعلن لنا بصراحة ، أن زكى مبارك كان مثال
النشاط والطموح والنبوغ . كان رحمه الله مبارزا شجاعا لا يهاب
النقد ولا يبالى النزال ، فيقتحم الميدان مقارعا ومناضلا ، حتى لم
يسلم من نقده أديب كبير أو صغير فالمساجلات التى دارت بينه

وبين أساطين الأدب ، أكسبت الأدب العربي ثروة زاخرة أنارت
الطرق أمام الشباب ، والمساجلات التي دارت بينه وبين صغار
الأدباء ، أبرزت هؤلاء إلى مكان مرموق بعد أن كانوا منسيين في
زوايا المجتمع .

ولكن تلك الشعلة المنيعة ، وذلك الطموح العظيم ، وهذه
المساجلات القيمة ، زالت من الوجود عندما بدأ اليأس يتسرب
إلى قلب الرجل العظيم نتيجة للعقوق . إن العقوق الذي لاقاه
زكي مبارك في حياته جعله ينطوى على نفسه ، ويترك هذا الميدان
الرطيب ، ميدان الأدب الرفيع إلى ذلك الميدان الضيق . ميدان
الصحافة ، الذي لا يؤمه سوى طبقة معينة من القراء الذين ينفسون
عن أنفسهم بقراءة الأدب الخفيف .

ترك زكي مبارك الميدان في عز مجده الأدبي منذ ثمانى سنوات ،
في وقت كان فيه الأدب في أمس الحاجة إلى روائعه . وعجب قراؤه
ومحبوه وظنوها فترة استجمام تنهى بعد أيام أو شهور . وإذا به
يطلع عليهم بعد مدة في صحف لا تمت إلى الأدب الرفيع بنسب أو
صلة . فأسفوا ونال منهم الحزن منالا عظيما ، وأيقنوا عند ذلك أن
العندليب الذي غناهم أروع الأناشيد قد أصبح مهبط الجناح ، يرسل
آهات الألم ولا من مجيب ، ويستجير من وخزات الظلم ولا من مجير .

وإليكم لونا من ألوان العقوق الذى منى به الفقيد . فهو يقول
عن كتابه «النثر الفنى» وهو من الكتب الأدبية الخالدة «هل تعرفون
كيف استقبلته وزارة المعارف الموقرة ؟ اشترت منه « أربعين »
نسخة فقط ، لأن مؤلفه ليس له فى الحكومة المصرية عم أو خال .
وجاءت لجنة اختيار الكتب بوزارة المعارف فأهملته وقررت غيره .
من الكتب التى لا يمكن أن تغنى عن كتاب « النثر الفنى » ، وكذلك
الحال مع كتبه الأخرى « عبقرية الشريف الرضى » و « التصوف
الإسلامى » و « الأخلاق عند الغزالي » وغيرها من الكتب القيمة التى
سدت فراغا فى المكتبة العربية . فهل يلام إذن إن شكا من دهره
الخئون ؟ ولم يدم عجب القراء طويلا ، لأنهم ألفوا مثل هذا العقوق
فى الشرق فى كل يوم بل فى كل رقة جفن . وما أجمل قول شاعر
العراق محمد مهدي الجواهري :

قُتِلَ الْعُقُوقُ فكم قتلنا نابغاً بين البيوتِ وكم وأدنا قائدا
لكن الذى جعل القراء يأسفون كثيرا : وقوع هذا العقوق فى
مصر . مصر العظيمة التى أضحت كعبة طلاب العلم والأدب . مصر
الخالدة التى يأنس الأديب فى جنباتها ويأمن من غوائل الزمن . مصر
التي فهمت معنى الثقافة فأخذت تنشر دررها وآلاتها فى أرجاء البلاد
العربية . وما تلك الدرارى والآلىء إلا كتب أبناءها البررة التى أنارت

السبل أمام الشباب ، فأضاءت لهم ماحولهم فمشوا بثبات وإقدام . مصر
التي ترعى حقوق الأدباء والعلماء مهبط تكن جنسياتهم ومذاهبهم .
مصر تعق « زكي مبارك » الابن البار الذي سجل لها في تاريخ الأدب
مجدا لن ينكره أحد مهبط بلغ من الجحود ، ووهب قلبه وعقله لخدمتها
في القاهرة وبغداد وباريس وغيرها من البلاد العربية التي حط فيها
عصا الترحال ، ولم يدخر وسعا في تمجيد مصر في أشعاره الغرر
وكتاباتهِ الدُرر؟؟؟ إن التاريخ الأدبي يقف أمام هذه الظاهرة حائرا
مذهولا . زكي مبارك العظيم يموت وقد ضنوا عليه حتى بوظيفة
كتلك التي يشغلها فارغو القلب من الحياة ، وهو الرجل الذي ألف
خير الكتب وأنفسها . بينما تسنم غيره المناصب العالية ، وهم لا
يستطيعون الإتيان بمعشار ما أتى به ، ثم ما هذا العقوق بعد موته ؟
أين المقالات والقصائد التي يجب أن تقال في رثاء هذا البلبل الصдах ؟
بل أين الأدباء الذين وهبهم زكي مبارك قلبه وروحه ، وأثار عقولهم
بعد ظلمة وقلوبهم بعد عمى ؟ بل أين مجلة الرسالة التي استنفدت قوى
الأديب الراحل ، وسلبت لبه وقلبه وروحه وجعلته يسامر النجوم
ويستقبل الفجر وهو منكب على أوراقه في سبيل خدمتها ؟ وأين
الزيات العظيم الذي خاطبه يوما زكي مبارك قائلا « تحيتي إليك وإلى
السامرين في نادي الرسالة من كرام الأصدقاء . وتحيتي إلى القاهرة

التي لا تقع فيها العين إلا على نجم أزهر أو كوكب لماع ؟
إن قصر الأدباء في حق زكي مبارك وقصرت جميع المجالات
أيضا . فانتا نرجو من أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات أن ينصف
صديقه الطيب القلب ، الذي لم يحالفه الحظ ، لصراحته المتناهية .
وتكالبت عليه شتى القوى فأحاطته شخصا يائسا محطما القلب ، حتى
غادر الحياة وهو يشكو ظلم الزمان وغدر الأيام .

إن الزيات العظيم الذي قال في حق زكي مبارك ما قال . أيام أن
كان في عنفوان سؤدده «وزكي مبارك — إن أردت فيه كلمة الحق —
مجاهد باسل من المجاهدين القلال الذين شقوا طريقهم في الحياة بالقوة ،
وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالسكد ، وأحلوا أنفسهم محلها اللائق
بالصراع . وهو أحد الأدباء الذين لم يقيم مجدهم الأدبي على الظروف
والحظ ، وإذا وقع في حياته فهو الحظ المنكود : لأنه تعلم بكبح
قلبه ، وتقدم بفضل جهاده ، ثم كانت الظروف التي تساعد غيره تلج
عليه بالنكران والحرمان من غير هوادة » .

أقول هو نفسه الزيات الذي يستطيع إحياء ذكرى زكي مبارك وأدبه
من جديد على صفحات الرسالة الغراء بكتابة مقالات عن فنه وعلمه وأدبه .
نريد من الأستاذ أن يفهم الشباب : من هو زكي مبارك . إن
أكثر الشباب اليوم الذين لا يعرفون مجد الراحل ، يعتقدون أنه من

الصحفيين المغمورين ، وإذا سمع أحدهم اسمه أزور ونأى بجانبه .
نريد من الأستاذ أن يفهم هؤلاء أن زكى مبارك هتفت له القاهرة
في يوم ما كما هتفت له باريس وبغداد ودمشق وبירות والقدس ،
وترجمت روائعه إلى اللغات الأجنبية ونقش اسمه في قلوب الآلاف
من القراء . نريد من الأستاذ أن يعيد إلى الأذهان مجد زكى مبارك
التليد ، ويدفع الشباب لقراءة كتبه المنسية في زوايا المكتبات وتذوق
أدبه الرفيع وفنه الخالد .

بقيت ناحية دقيقة في الموضوع ألا وهي مسألة الثناء على نفسه
وهي النقطة الوحيدة التي أخذها عليه النقاد ، ومسكوها حجة بأيديهم .
وهذه الناحية ذكرها الأستاذ الزيات فقال : « ولكن هذه الأعراض
النفسية ستفى فيه وفي الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمي الضخم الذي
قدمه إلى الأدب العربي في شتى نواحيه ، شاهداً على صدق خدمته
للأدب ورفيع مكانته في النهضة » .

هذه كلمة موجزة ، أوحاها إلى النبأ المؤسف الذي أنذرنا بموت
أديب كبير له علينا أكبر الفضل . لقد خدم زكى مبارك مصر واللغة
العربية بقلبه وعقله وروحه خدمة صادقة حتى وافاه الأجل المحتوم .

رحمك الله يا أبا سليمان وألهم محبيك — وما أكثرهم

الصبر والسلوان .

ودع العالم في مثل هذا الوقت من العام الفأنت علم من أعلام
الأدب وقطب من أقطاب البيان وناقد جرىء حمل لواء النقد عاليا بعد أن
كان يتعثر في أساليبه القديمة البالية ، ذلكم هو الأديب الطموح الثائر
الدكتور زكي مبارك . ويتجلى طموحه في ثنايا كتاباته التي سطرها منذ
أيام الشباب حتى زمن الكهولة ووضح طموحه الى المجد منذ أن غادر
الأزهر الشريف للالتحاق بالجامعة المصرية ، ولكن الجامعة لم تكن
تقبل الطالب مالم يكن ملما بلغة أجنبية واحدة على الأقل فما كان منه
الا أن شمر عن ساعد الجد وسهر على دراسة اللغة الفرنسية وأتقنها بعد
ثلاث سنوات ، والتحق رسميا بالجامعة في سنة ١٩١٦ بعد أن نال
وافرا من آداب اللغة العربية في الأزهر . وكان الى جانب دراسته في
الجامعة يوالى نشر مقالاته وقصائده في الصحف مشاركا الشعب في
حركاته الوطنية ولقد استفاد من شبابه أكبر فائدة ممكنة ، واغتنى كل
فرصة تواتيه لنيل المجد والسير في طريق الخلود ، ولم ير خيرا من السهر
في غفوات الليل ومسامرة أرواح الموتى من العلماء على حد قوله .
وله أبيات يعاتب فيها أيام الصبا التي تعوق الشباب عن نيل العلياء ،
وتصرفهم عن الجهاد في سبيل المجد ومنها هذه الأبيات :

زمان الصبا هلا عن الغى ناهيا فترحل محمودا وتحمد ثاويا
صرفت نفوس الناشئين عن العلا وأوردتهم بما من الجهل طاميا
ومن لم ينل عند الشبيبة حظه من المجد لم يخضع له المجد ثانيا
وعرف عنه أنه كان يترفع عن الدنيا في أيام شبابه ، فكان
بعيدا عن رغبات الشباب وفتون الصبا ويدعو الى العفة لأنها
تسمو بالإنسان وتوجهه وجهة صالحة في هذه الحياة ، وفي ذلك
يقول :

ولم أر كالفحشاء يخزى بها الفتى ويثلم منها عرضه فيهن
وما كان زين النفس الا عفافها ولكن لأيام الشباب شئون
سار زكى مبارك في طريق المجد فنال شهادة الليسانس في العلوم
الفلسفية والأدبية سنة ١٩٢١ وعندهما وجد نفسه الكبيرة لا ترضى
بهذه الاجازة عقد النية على الاستزادة من العلم لنيل الدكتوراه فكان
له ما أراد وقدم أطروحته عن «الأخلاق عند الغزالي» في سنة ١٩٢٤
فنال الدكتوراه وعين استاذاً في الجامعة المصرية . ولكن طموحه لم
يقف عند حد ، فرحل الى باريس في طلب العلم ونال الدكتوراه الثانية
من جامعة السوربون بكتابه الخالد «النثر الفني» في سنة ١٩٣١ ذلك
الكتاب الذي اعتد به المؤلف وتحدى به الأدباء المعاصرين . وكان لهذا
الكتاب صدى حسن في الأوساط الأدبية . وعاد الى مصر فعين

أستاذًا في الجامعة المصرية مرة ثانية، وعأوده الحنين لنيل الدكتوراه للمرة الثالثة، فنال هذه الاجازة كما أراد بكتابه القيم «التصوف الاسلامي» وذلك في سنة ١٩٣٧. وعين في السنة التالية أستاذًا للأدب العربي في دار المعلمين العالية ببغداد، وهناك أطاق العنان لقريحته الوقادة فألف كتاب ليلى المريضة في العراق، وحي بغداد، وملاحم المجتمع العراقي.

وللتجاوب الروحي بينه وبين الأديب الطموح الشريف الرضى ألف كتابا عن عبقرية الشريف. وكانت تلك الفترة من أروع أيام حياته الأدبية، إذ أخذ في الصيال والصراع مع الأدباء المعاصرين من الشيوخ والشباب وشرع باتمام رسالته في النقد، تلك الرسالة التي بدأها منذ أن كان طالبا في الأزهر في جريدة البلاغ وغيرها من الصحف، وبلغت أوجها في سنة ١٩٣٩.

وكانت الأوساط الأدبية تتلقف مجلة الرسالة بمزيد من اللفتة والشوق، للاطلاع على المعارك الأدبية التي أشعل نارها الدكتور زكي مبارك - وكان إذ ذاك مفتشا في وزارة المعارف - وكان لها دوى هائل بين جماهير القراء في العالم العربي وكان رحمه الله يقف في الميدان الأدبي ويدعو الأدباء الى مبارزته، فكان يابيه بعضهم ويزور عنه آخرون. أما هو فكان لا يكل ولا يتعب.

وما كاد اسم زكى مبارك يلبع فى العالم العربى ويهتف له الأدباء حتى أخذ فى الانكماش والانطواء نتيجة للعقول ، لاسيما بعد أن رأى من هم دونه يتقدمون عليه ويحتلون المناصب التى يتطلع هو إليها وهم بعد لا يحملون مؤهلاته وامكانياته ، فأخذ يتسرب اليأس الى قلبه ، وصار يكتب ما فى نفسه بصراحته التى فطر عليها ، ويعلم عن نفسه فى كل مناسبة ، ويفضل كتبه على كتب معاصرة من الأدباء . وإلى جانب كتبه القيمة ، نظم الدكتور كثيرا من القصائد الجياد فى الغزل والحب والوطنية والجمال ، وجمعها قبل وفاته فى كتاب كبير أسماه «ألحان الخلود» .

وفى رأينا أنه لو اعتدل فى نقده . وتجنب الشاء على نفسه لنال المناصب التى كان يطمح إليها فى حياته ، ولكانت له منزلة أخرى فى تاريخ الأدب الحديث . ولكن كيف يستطيع الاعتدال وقد كان ثائرا على الأوضاع الأدبية والاجتماعية منذ صدر شبابه .

ومهما يكن من شىء فإن زكى مبارك ، أول أديب ثائر رسم للشباب طريق المجد وحمل على أساليب النقد القديمة فمزقها ، وكشف للقراء بصراحته كثيرا من أسرار المجتمع وهو وإن كان لم ينل ما يصبو إليه من المناصب إلا أنه نال ما كان يصبو إليه من مجد وسؤدد وستكون كتبه القيمة شاهدة على إخلاصه ، وطيب نفسه وصراحته فى الحق .

وللفقيد كتب أخرى غير التي ذكرناها أهمها البدائع والعشاق الثلاثة
وحب ابن أبي ربيعة ومدامع العشاق والموازنة بين الشعراء والمدائح
النبوية في الأدب العربي .

يقول الدكتور زكى مبارك « لامننى صديق فقال : ما قرأت لك كتابا ولا قصيدة إلا رأيتك مشغولا بالحب ، فما هذا الإسراف ؟ فقلت : لا تؤاخذنى يامولاى فأنا أريد أن أملأ أقطار قلبى بالحب حتى لا يوجد فيه مجال للبغض » .

وهكذا كان .. فقد عاش زكى مبارك حياته الطويلة حبياً إلى كل قلب ، كالبلبل الغريد يتنقل من روض إلى روض ، يشنف الأسماع بروائع الأغاريد ، فتنزل على القلوب نزول الماء البارد على قلب الظمآن فى أيام الهجير . وظل يصف الجمال وصفاً يأخذ بمجامع القلب ويصور الحب تصويراً يلعب بأوتار النفس . لقد عشق زكى مبارك الخلود فظل قلبه عامراً بالحب طول حياته ، لم يتطرق إليه الكلل أو الوهن . أما خصوماته الأدبية الكثيرة فكانت بعيدة كل البعد عن القضايا الشخصية ولا تهدف إلا لخدمه اللغة العربية ، وأما قلبه فكان أنصع من الثلج ولا حاجة بنا إلى إيراد الدليل أو البرهان فهذه كتبه وتلك أشعاره مبشورة فى كل البلاد تصور نفسيته تصويراً حقيقياً ولذا عاش محبوباً من قرائه فى الشرق والغرب — وإن جحدته أناس لغايات فى نفوسهم — وسيأتى يوم نرى فيه تلامذته وقراءه

يمجدون آثاره ويحفلون بكل ما أنتجه خياله الخصب الوثاب .
ولا ينكر أحد أن زكي مبارك كان الأديب الوحيد الذي اتخذ
الصراحة له دليلاً ومناراً فعاش فقيراً ومات معدماً وهل يضيره
ذلك ؟ إن أكثر عظماء التاريخ ورجال الفكر عاشوا فقراء وماتوا
فقراء ولكنهم سجلوا في قلب التاريخ لأنفسهم مجداً سيبقى ما بقي
الليل والنهار .

قلنا إن زكي مبارك عشق الخلود فظل قلبه عامراً بالحب طول
حياته ، وتغنى بالجمال في شتى صورته ومغانيه ، وغازل المجد حتى نال
وصاله بعد طول تمنع وصدود واستطاع أن يأخذ محله في الرعيل
الأول من أدباء اللغة العربية في القرن العشرين ، وبذلك ضمن لنفسه
الخلود . فهل يعيد التاريخ نفسه ويتحف اللغة العربية بزكي مبارك
آخر يصول ويجول في ميادين الأدب ، يقارع هذا ويناضل ذاك حتى
يضح الأدباء ويتهيبوا نزاله وقراعه ، فيفوز عليهم بقصب السبق ؟
كان شاعر الحب والجمال وفيّاً إلى أبعد معاني الوفاء ، حتى أصبح
وفاؤه مضرب المثل ، وبهذا الوفاء ضمن صداقة الجميع . وخير
قصيدة نقدمها إلى القراء ، شهادة على وفائه ناطقة بأروع معاني الحب
والجمال ، هي قصيدته « من جحيم الظلم في القاهرة إلى سعيير الوجد في
بغداد » فهو بعد أن غادر القاهرة إلى بغداد للتدريس في دار المعلمين

العالية . . . حنَّ إلى الصَّحب في القاهرة أيما حنين . . . وأى صحب ؟
الصحب الذين نسوه أو تناسوه واستعملوا معه صنوفا من الصدود
والعقوق ، ولكنه زكى مبارك صاحب القلب العطوف . . .
زكى مبارك صاحب الوفاء العظيم . . . زكى مبارك شاعر الضمير
والوجدان :

سمعت حمائم ينحن فعزنى . . . حنيني إلى صحب بمصر أشقاء
أنادمهم بالوهم والقلب عارف بأنى لدى كاس من الدمع حمراء
شربت الأسى صر فافتارت مدامعى تذيع حديثي فى الغرام وأنبأى
أنا الطائر المجروح يرميه بؤسه لشقوته ما بين نار ورمضاء
فان عشت آذتنى جروحي وإن أمت شوتنى فى الأرواح نيران بأسائى
فهل رأيت النبل العظيم كيف يشع فى ثنايا هذه الآيات المعطرة
بأريج الحب والجمال ؟ وهل رأيت نعمة الأسى والألم تلهب روح الشاعر
ونار الهوى تكوى جوانحه ؟ ويد العقوق تسرى فى أعماقه ؟ فلم يجد
متنفسا إلا أن ينثر دموعه — التى لا تجفف وإنما تستقر فى قلوب
قرائه ومحبيه — فتنشر حديث الغرام الحبيب غرام الخلود . وهو فى
الحق طائر مجروح رماه بؤسه بين نيران لا ترحم . ثم ها هو ذا يتذكر
أحبابه فى مصر ويتضرع إليهم أن ينتشلوه من نار الغربة التى أضرمت
لهيبا فى أوصاله . وهو وإن لاقى كل حفاوة من العراق . . . إلا أنه لم

يستطيع مغالبة الأشجان فانطلقت من قلبه انطلاق السهم من مرماه . وهل
يستطيع شاعر براه الحب وفتنه الجمال أن يخفى في قلبه نار الهوى
وسعير الوجد :

أحبائى فى مصر تعالوا فإني أودع فى بغداد أنسى وسرائى
تعالوا أعينونى على السهد والضنى فلم يبق منى غير أطيايف أشلاء
تعالوا تروا بغداد أغرت بهم حتى نيوب المنايا فى صباحى وامسائى
أحبائى فى مصر، وهل لى أحبة ؟ أحبائى فى مصر تعالوا أحبائى
تعالوا إلى بغداد تلقوا أخاكم صريع خطوب ينتحين وأرزاء
وانظر إليه وهو يتوسل الى الله أن ينقذه مما هو فيه ، لأن قلبه
العطوف لا يستطيع تحمل كل هذه الوخزات المتلاحقة ، ثم يرجع
ثانية ويتحرق شوقا الى نار الغرام وسعير الوجد ، لماذا ؟ لأنه خلق
ليشده فى فضاء الله الواسع ، كما يشدهو البلبلى على فتنه . وهل يستطيع
ذلك الا بعد أن يحترق بنار الهوى والغرام :

أرباه أنقذنى فأنت رميتنى بقلب على عمـد الأحباء بكاء
أرباه لا تفعل فانى أرى الهوى على وقده بالقلب أنفاس روحاء
أحب سعير الوجد فارم حشاشتى على جمرات منه حمقاء هو جاء
أحب شقائى فى الغرام وإنه لأروح من مطلولة الزهر شجراء
فيا خالق النار العطوف وشائقى إليها أدم فيها لوا عجب اصلائى

فهل رأيت انسانا يتضرع الى الله ليخلصه من العذاب ، ثم ما بين
طرفة عين وانتباهتها يشوب الى عالمه الواقعي ... عالم الحب والجمال ،
فيطلب من الله أن يصميه مرة أخرى بنار الجوى ويكويه بسعير
الوجد ؟؟ فهو يريد أن يتقلب دائماً أبداً في أتونها حتى لا يتطرق الوهن
الى قلبه فتخبو جذوة الشوق ، ويهرم القلب بعد أن كان يشدو بذكر
الحب والجمال .

ثم يأتي دور دجلة ، ذلك النهر الخالد الذي أفنى الملوكة وأزال
الممالك ، وهو .. هو .. لا يزال ينساب كالأفعوان . دجلة هذا
يقف عنده ابن النيل البار زكي مبارك ليبتثه أحزانه وأشجانه ولكن
النهر العظيم ينيله أذنا غير واعية ، ويمضى غير حافل بما يسمع ، ويترك
الشاعر يقلب كفيه في قلق . ويصب شكواه على ثبج الماء . وما أمر
الشكوى !! شكوى شاعر أفنى العمر في طلب الخلود ولما استسلم له
صاغرا . كانت مكافأته العقوق والأهمال : شكوى شاعر شفه الوجد
للوطن والأهل والخلاز . . شكوى شاعر يملأ الحب قلبه ولا شيء غير
الحب . . شكوى شاعر فتنه الجمال فراح يخضع القوافي الساخرة للتعبير
عما يحول بقلبه المعنى :

أدجلة أين الحب ؟ قولي فاني تقلبت في نارين حقد وبغضاء
أدجلة أين النور ؟ قولي فاني على الشط استهدى دياجير ظلماتي

أدجلة أبلاني اغترابي وشفني هيامي بظلمي في بلادى وأشقائي
أدجلة ساقني اليك مقادر تأنقن في كيدي وأبدعن إيدائي
أدجلة واسيني فللضيف حقه اذا شئت من زاد وحب وصهباء
وقف طويلا عند البيت الأخير وتخيّل مدى الجذب العاطفي
الذي ألم بالشاعر في تلك اللحظات . وبما أن للضيف حقوقا جمّة . فهو
يتضرع الى دجلة أن ينشر عليه حللا من عواطفه الرقراقة ، لكي تروى
صدى قلبه الواقى الذي تكالبت عليه الارزاء . ثم يحن الشاعر الى
أولاده وبناته حيننا ينفذ صداه الى أعماق الروح ، وكيف لا وهو أب
وحنان الأبوة لا يتطرق اليه الشك ، فكيف إذا كان الأب : زكى مبارك ؟
صاحب القلب العطوف الذى يخفق بمناسبة وبدون مناسبة ، وهو
أيضا يهتم نفسه بالعقوق فيقول :

تناسيت في مصر الجديدة صبية هم الزهر الظمان في جوف بيداء
يناجون في الأحلام أطيا فوالد لعهد بنيه والبنيات نساء
وأخيرا يختم الشاعر قصيدته الطويلة بهذه الآيات الصادقة :

سيمسى خصومي بعد حين أحبة يذيعون مشكورين أطيب أنبائي
سيسأل قوم من زكى مبارك ؟ وجسمي مدفون بصحراء صماء
فان سألواعني في مصر مرقدى وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائى
ستذكرني غيد ملاح أو انس أطلن بلائى في الغرام واشقائى

ستذكرني مصر وما كان قلبها سوى صخرة في جانب النيل ملساء
الى الله أشكو لؤم دهرى وصرفه وعند الآله البر أودع حوبائى
أما بعد فيا أيها الشاعر الغريد ، لقد آن الأوان ليصبح الخصوم
أحبة لك بعد أن أصبحت في ذمة الخلود: لقد آن الأوان لنبذ الحزازات
وطرح الغل والحسد من النفوس وأزفت ساعة الاعتراف بمكائتك
العظيمة في النهضة . ستذكرك الألسنة في أرجاء البلاد العربية وستخفق
لذكرك القلوب في كل رقة جفن .

سألني أحد الاخوان : قلت في مقالك الذي نشرته في العدد الثاني من مجلة الرائد « إن زكي مبارك عشق الخلود فظل قلبه عامرا بالحب طول حياته ، وتغنى بالجمال في شتى صورهِ ومغانيهِ ، وغازل المجد حتى نال وصاله بعد طول تمنع وصدود ، واستطاع أن يأخذ محله في الرعيل الأول من أدباء اللغة العربية في القرن العشرين ، وبذلك ضمن لنفسه الخلود » فهل تشرح لي هذا الكلام في العدد القادم من الرائد ؟

وجوابا على سؤال الأخ ، أقول : إن غرام زكي مبارك الذي يحده القارىء منبثا في شعره ونثره ما هو إلا غرام المجد ، ولا شيء غير المجد . وما ليلى التي يعينها في كتبه سوى اللغة العربية التي عشقها زكي مبارك فأصبح أمير العاشقين . وقد حاول هو نفسه إخفاء هذه الحقيقة عن قرائه فلم يستطع واليك البرهان على هذا الكلام .

قال الدكتور زكي مبارك عندما كان في عز مجده الأدبي سنة ١٩٣٩ « أنا في هذه الأيام مشغول عن جميع الملاح ، لأنني أشرب العلقم والصاب في ثلاث مطابع ، والمطبعة هي أخت جهنم التي تقول هل من مزيد ؟ أكتب هذا وأنا أعنى ما أقول ، ولا تستطيع ليلى المريضة في الزمالة أو ليلى المريضة في الجزيرة ، أو ليلى المريضة في مصر الجديدة ، أو ليلى

المريضة في دمياط ، أو ليلى المريضة في حلوان ، لاتستطيع واحدة من هؤلاء الليليات أن تقول إنها تدخل على قلبي من الفرح بعض ما أشعر به يوم يظهر كتاب (التصوف الإسلامى) أو كتاب (وحي بغداد) .

المجد أعظم من الحب لو تعلمون .

المجد هو الذى يسوق الينا أسراب الملاح صاغرات خاشعات .
فلنجاهد فى سبيل المجد بعزائم الرجال ، ولنترك ما للشيطان
للشيطان . »

و موضوع غرام زكى مبارك بالمجد ، موضوع حبيب الى النفوس ،
وقد شغل الصحافة العربية حقبة من الزمن . فهذه مجلة الشباب تتسلم
رسالة من تونس تقول : « أيش السبب لما الحكيم زكى مبارك بقى
عزبان وليش ماتجوزوه بس يسكت لسانه عن التغزل بجماليات النسوان » .
فتجيبها المجلة : « الدكتور زكى مبارك ليس بحكيم ، بل هو أستاذ
وقد أخذ لقب الدكتوراه لنبوغه فى معالجة الأدب ، لا فى معالجة
المصارين ، والدكتور مبارك متزوج مذ كان طالبا فى الأزهر وله الآن
أنجال مهذبون وكريمات متزوجات ولهن أولاد . إذن فهو ليس
بعزبان ، بل هو جدّ أيضا وله كرامة ووقار رب العائلة » .
وهذه رسالة من اليمن تقول :

« والله عجيبة كيف أن حكومة العراق ما تحبس الدكتور زكى ولد مبارك الذى يعرض فى مقالاته بنسوان العباد . ويطول لسانه على بنات الناس المحترمات مثل الحاجة ليلى وهى مريضة ، وحضرة الست ظمياء بنت عمها » .

فتجيبها المجلة « لا تستطيع حكومة العراق التعرض للدكتور زكى مبارك بنصف كلمة لأنه لم يتعرض لأحد من نسوان العباد أما ليلى وظمياء فهما من الأسماء المنتحلة لشخصيتين خياليتين . كأبى زيد السروجى مع الحريرى ، وعيسى بن هشام مع بديع الزمان ، اختلقهما الدكتور زكى مبارك ليجرى على ألسنتهما المحاورات والمعانى التى يريدونها » .

فهل رأيت كيف شغل زكى مبارك الدنيا بأحاديث الغرام ؟ غرام المجد والخلود ؟ وكيف أخذت الصحافة العربية تتحدث عن الغرام الحبيب ؟ وما ليلى المريضة سوى المجد الذى كان يطلبه الدكتور ، ويضحى فى سبيله كل غال ونفيس حتى أصبح ملء القلوب والأسماع ؟؟ ولكنه مع مزيد الأسى والأسف ترك روض الأدب بعد أن ملك ناصية البيان وكتب اسمه فى سجل الخالدين . واعتزل قراءه ثمانى سنوات حتى نسيه الناس ، قبل أن تمتد إليه يد الموت .

للأدب العاطفى مكانة سامية فى نفوس الناس ، لأنه ينبجس من
النبع الرقراق فى أعماق النفس البشرية ، والإنسان مهما تكن مكانته
فى الهيئة الاجتماعية تمر عليه فترات عصيبة لا تنقضى إلا بالانصراف
إلى حديث القلوب وأسرار الأرواح . وكلها كان الأديب صادقا فى
عاطفته كانت آثاره أقرب إلى الخلود . وقد نبغ فى الأدب العربى أدباء
صدقوا فى عواطفهم فاستحقوا الخلود على مر العصور . وعلى رأسهم
زكى مبارك .

ألف زكى مبارك كتباً علمية نفيسة كالنثر الفنى ، والتصوف
الإسلامى ، وعبقريّة الشريف الرضى ، والأخلاق عند الغزالي .
وستبقى هذه الكتب متداولة بين طبقات محدودة فى المجتمع لأنها
نتاج السهر الطويل والبحث المستمر . أما كتبه العاطفية : مدامع
العشاق ولىلى المريضة فى العراق ، ووحى بغداد ، والعشاق الثلاثة
ودىوان ألحان الخلود . فهى مقروءة لدى جميع الطبقات ، يقرأها
الأدباء والمتأدبون ، ويقرأها العشاق على اختلاف درجاتهم ،
ويقرأها القراء على تباين أذواقهم ، ويقرأها غيرهم وغيرهم . لماذا ؟
لأنها تصور نزعات وجدانهم وخفقات قلوبهم . وسنورد

هنا بعض الشواهد التي تؤيد ما ذكرناه :

عندما كان زكي مبارك في بغداد وجه رسالة إلى صديقه الزيات صاحب مجلة الرسالة ، وكانت رسالة حزينة صادرة من أعماقه عنوانها : «القلب الغريب في ليلة العيد» تلقت زكي مبارك بعد أن أغفى الغافون ، وجمع الهاجعون ، وهدأ السامرون ، وإذا بغداد قد لفها ستار قاتم من السكون ، ولم ير بجواره أنيساً أو جليسا ، بينما أحباؤه وصحبه يسمرون في القاهرة ، عروس الشرق وموطن الجمال والخيال ، فتناول القلم وسطر رسالة طويلة نقتطف منها هذه الكلمات :

« صديقي ، هذه الساعة الأولى بعد منتصف الليل وستقرأ هذه الرسالة فتذكر أنك أرقّت في ليلة العيد بلا سبب معروف ، فلتفهم حين تقرأ هذه الرسالة أن ذلك الأرق إنما كان هدية أرسلها إليك الغريب في بغداد ، الغريب الذي يوحى الحزن إلى أشقياء الغرباء . الآن تهدأ بغداد بعد أن تسدل أستارها على الغافين من السعداء والبائسين ، ويبقى المسهد الغريب الذي لا يعرف ربيع القلب ولا نعيم الجفون . في هذه الليلة تهدأ جنوب وتقلق جنوب ، وجنبي هو الجنب الحائر تحت سماء بغداد .

في هذه الليلة تتلفت عيون فلا تراني ، عيون كنت لها أمتع من إغفاءة الفجر ، وأنضر من بياض الصباح ، في هذه الليلة

تشتاقني أكباد رقاق علمتها كيف تطيب ليالى الأعياد .

أخي الزيات ، لا أنتظر منك دمة عند قراءة هذا الخطاب ،
ولكن لي إليك رجاء فاحفظ عهد أخيك ولا تمش في شوارع القاهرة
إلا مشية الخاشعين ، فليس في تلك المدينة بقعة إلا ولي فيها صبوات ،
وليس فيها شارع ولا ناد إلا ولي فيه أحباب وخلان . . »

وهذه قطعة أخرى من الأدب الوجداني خطها زكي مبارك في
إحدى ليالى العيد أيضا وهو يعانى ألم الغربة ونار الوجد :

« كان لي أهل وكان لك أهل يا قلبي . أما أهلي فبخير وإن كنت
أتوجع كلما ذكرت أن أولئك الأهل خلا ناديمهم من وجه أبي . وكان
لك أهل يا قلبي ، ولكن أخبارهم غابت عني منذ أزمان لا تكتم
عني شيئا يا قلبي ، فما لك في الدنيا آس سواي .

حدثني أين دفنت أحلامك ، فاني أعرف إنك قليل البخت في
دنياك . ولو كان لك بخت لما جاز أن تبیت مشرد الأمانى في ليلة
عيد قلبي يرحم الله غربتك بين القلوب أتذكر ما صنعت في سبيلك؟
لقد فررت بك من سعي الحب في القاهرة ، ونقلتك إلى بغداد دار
السلام ، فهل كانت بغداد يا قلبي دار سلام ؟ أم كان اسمها من أسماء
الأضداد أى والله ! هذا الصبح يتنفس وما غفت عيناى . فهل
تعرف الظباء التى كانت تعترض طريق لتصرعنى أننى لا أزال بين

الأحياء؟ أحبائي في مصر الجديدة والزمالك ، ناموا هائئين وادعين ،
وانهبوا ما شئتم من أحلام الأمانى فسأغفر لكم جريمة النسيان
والعقوق أحبائي في بغداد ! تذكروا أن الشاعر لم يعن أحدا
غيري حين قال :

وكل محب قد سلا غير أنى غريب الهوى يا ويح كل غريب ..
ونختتم هذه الأقباس العاطفية والوجدانية بكلمة رقيقة أثبتها
زكى مبارك في كتابه « العشاق الثلاثة » وهم جميل بن معمر وكثير بن
عبد الرحمن والعباس بن الأحنف :

« هوى جميل عند بثينة وهوى كثير عند عزة وهوى العباس عند
فوز ، فأين هواى وما هو الإسم الجميل الذى أحجبه بحجاب هذا الكتان ؟
هؤلاء الموحدون فى الحب لن يكونوا أصدق منى ، ولن ترى
الدنيا ولو تحولت الى فردوس عاشقا أصدق منى ، ولن أرى أكرم
منك يا نيك الروح الغالية ، ولا أعذب ولا أطف ، وان توهمت أن
الصدود من جنود الجمال !

هؤلاء الموحدون فى الحب يتكلمون باسمى ، على بعد الزمان والمكان .
فأنا وأنت أول صوت يناغى ضمير الوجود . أقرئى هذا الكتاب ،
يا تلك الروح ، وتناسى أننا تلاقينا لحظة من زمان لتذوقى طعم النوم
من زمان ... »

وبعد ، فهذه بعض الشواهد على صدق العاطفة عند أديبنا «المبارك»
وستمر الأجيال ، وهذه الآثار العاطفية والاقباس الوجدانية خالدة في
فم الدهر ، تشفى القلوب الصادية وتناغى الأرواح الكليلة وتناجى
العشاق في غفوات الليل . وستمر الأجيال ويمضى معها فلان وفلان
وفلان من الذين خادعوا القراء ويبقى الأديب الوحيد الذى
سطر كل ما فى نفسه على الطروس دونما خوف أو استحياء ، وحدث
قراءه بكل ما عمله فى السر والعلانية ، ذلكم هو زكى مبارك صديق القراء .

تم طبع هذا الكتاب بعون الله

فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٥

فهرست الكتاب

٣	تقديم بقلم الأستاذ الدكتور ابراهيم عبده
٩	الاهداء
١١	تصدير
١٣	الغربال
٢١	الحياة الأدبية في الكويت
٢٥	مولد النور
٣١	رسالة من الأعماق
٣٧	كلمة في الأدب العراقي الحديث
٤١	وثيقة استعمارية من القرن العاشر الهجري
٤٥	الأدب الحجازي
٥١	زواج بنات الأشراف
٥٥	آراء في رسالة
٦١	الأفلام السينمائية
٦٥	ضرورة التشجيع الأدبي
٦٩	الشاعر منجك
٧٥	أشرح الكوراني أم العكبري

٧٧	.	.	.	.	.	.	من وحى الهجرة :
٨١	.	.	.	.	.	.	الجاحظ في نوادره .
٨٥	.	.	.	.	.	.	كتاب القصة :
٨٩	.	.	.	.	.	.	الحرب والسلام
٩٥	.	.	.	.	.	.	زكى مبارك :
١٢٨	.	.	.	.	.	.	للـؤلف .

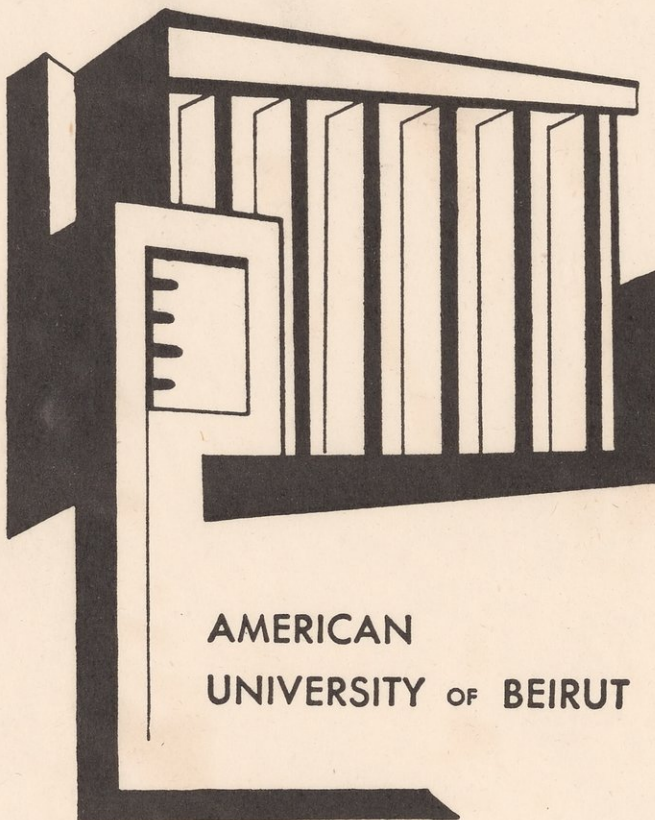
للمؤلف

(مجموعة قصصية) .

١ - أحلام الشباب

٢ - في الأدب والحياة





AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

